

### خبره مع فرتونة مولاة ذي أصبح:

من الأمثلة الجيدة على شعور أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بالمسؤولية واهتمامه بأمور الأمة دقيقتها وجليلها ما جاء في سياق الروايات التي رواها ابن عبد الحكم عن شيوخه قال: وكان بريد عمر ابن عبد العزيز لا يعطيه أحد من الناس إذا خرج كتاباً إلا حمّله، فخرج بريد من مصر فدفعته إليه فرتونة السوداء مولاة ذي أصبح كتاباً تذكر فيه أن لها حائطاً قصيراً، وأنه يُقتحم عليها فيُسرَق دجاجها فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله أمير المؤمنين إلى فرتونة السوداء مولاة ذي أصبح، بلغني كتابك وما ذكرت من قصر حائطك وأنه يُدخل عليك فيه فيُسرَق دجاجك، فقد كتبت كتاباً إلى أيوب بن شرحبيل - وكان أيوب عامله على صلاة مصر وحرّبها - أمره أن يبني لك ذلك حتى يحصنه لك مما تخافين إن شاء الله والسلام.

وكتب إلى أيوب بن شرحبيل: «من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى ابن شرحبيل، أما بعد: فإن فرتونة مولاة ذي أصبح كتبت تذكر

قصر حائطها، وأنه يُسرق منه دجاجها، وتَسأل تحصيله لها، فإذا جاءك كتابي هذا فاركب أنت بنفسك إليه حتى تحصنه لها.

فلما جاء الكتاب إلى أيوب ركب ببدنه حتى أتى الجيزة يسأل عن فرتونة حتى وقع عليها، وإذا هي سوداء مسكينة، فأعلمها بما كتب به أمير المؤمنين فيها وحصنه لها<sup>(١)</sup>.

فهذا الكتاب الذي رفع من تلك المرأة المسكينة المغمورة، إنما هو أثر من آثار العدل الذي شمل البلاد الإسلامية في عهد عمر بن عبد العزيز، فما كانت هذه المرأة المسكينة لترفع حاجتها إلى أمير المؤمنين لو كانت تتوقع أن كتابها سيكون طي الإهمال والنسيان، ولكن لما استقر في ضميرها أن أمير المؤمنين يهتم بكل أمر من أمور الرعية كبيرها وصغيرها، وأن كبار الأمور لا تشغله عن صغارها وجدت من نفسها نشاطاً وهمة في الكتابة إليه بأمرها وما أن وصل كتابها حتى كتب أمير المؤمنين في جواب ذلك كتاباً إليها يخبرها بما أمر

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم/٦٦، والجيزة قرية في مصر- قرب القاهرة - معجم البلدان ٢/٢٣٢ - .

به الوالي في مصر من قضاء حاجتها، وكتابًا إلى ذلك الوالي ليذهب بنفسه لقضاء حاجتها.

إنه لم يكتف بكتابه للوالي لخوفه من أن يتأخر في ذلك أو يعتريه النسيان، بل كتب كتابًا آخر لصاحبة الحاجة لتراجع الوالي فيما إذا لم يسارع إلى قضاء حاجتها.

إن هذا الاهتمام من أمير المؤمنين يعدُّ مثلًا عاليًا في الشعور بالمسؤولية، ويعدُّ مصداقًا للرؤيا التي رآها فيه جده أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، من أنه يسير بسيرته، فإن من صفات عمر بن الخطاب أنه كان في منتهى العدل والشعور بالمسؤولية، وأنه لم تكن كبار الأمور تشغله عن صغارها.

#### **إنصافه رجلا اشتكى من أحد أقاربه :**

قال ابن عبد الحكم رحمه الله تعالى: وأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين مظلمةٌ دخلت عليّ، قال عمر: ومن يك؟ قال: فلا والله ما استطاع أن يقول: فلان، لبعض أهله، مرتين أو ثلاثا، فقال: فلان بن فلان عمد إلى مال لي بكذا وكذا فأخذه فقال: يا غلام ائني بدواة وقرطاس فكتب إلى عامله: إن فلانا ذكر لي كذا وكذا فإن كان الذي

ذكر لي على ما ذكر فلا تراجعني فيه واررده عليه، ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال: إن هذا هو البلاء المبين<sup>(١)</sup>.

فهذا مثل من حزمه رحمه الله في تطبيق العدالة حتى مع أقاربه حيث أمر عامله بأن يرد الحق على صاحبه وإن كان المدعى عليه من أقاربه.

وفي هذا الخبر مثل من الذل الذي تتربى عليه النفوس في حال تسلط الجبروت والطغيان، حيث تلثم صاحب الحق في رفع قضيته مع أنه أمام حاكم عادل، ولكن الخلفيات السابقة لحكم الظلم والتسلط جعلته يتردد ويتتعتع، ولو لم يكن على رأس الحكم حاكم عادل لما فكر أساساً في رفع قضيته لأنه - والحال هذه - يخشى أن يناله أذى فيما إذا رفع قضيته ضد أحد أقارب الحاكم.

### **تسويته بين الناس في مجلس الحكم:**

ذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر الحكم بن عمر الرعيني قال: شهدت مسلمة بن عبد الملك يخاصم أهل دير إسحاق عند عمر بن

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم/٦٣.

عبد العزيز بالناعورة، فقال عمر لمسلمة: لا تجلس على الوسائد وخصماؤك بين يدي، ولكن وكل بخصومتك من شئت وإلا فجات القوم بين يدي، فوكل مولى له بخصومته فقضى عليه بالناعورة<sup>(١)</sup>.  
فهذا موقف جليل من أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى في إقرار قواعد العدل في مجالس الحكم، وقد كان أحد الخصمين ابن عمه القائد الكبير مسلمة بن عبد الملك، ومع رفعة منزلته وكونه ممن يحبهم عمر بن عبد العزيز ويقدرهم كثيرا فإنه لم يحابه في الحكم، بل ألزمه بأن يسوي نفسه مع خصومه ثم حكم عليه لصالح خصومه.

### أمره بوضع الضرائب:

من أمثلة عدله ما جاء في كتابه الذي بعثه إلى عروة بن محمد عامله على اليمن وجاء فيه: أما بعد فقد جاء كتابك تذكر أن من كان قبلك من العمال قد وضعوا على أهل اليمن صدقاتهم وظائف، إن

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي/٥٩، والناعورة موضع بين حلب وبالس فيه قصر لمسلمة بن عبد الملك، بينه وبين حلب ثمانية أميال.

افتقروا لم يُنقصوا، وإن استغنوا زيدَ عليهم، وتُؤامرنى في ذلك، ولعمري إن هذا للَجور حَقَّ الجور، فإذا جاءك كتابي هذا فخذهم بما ترى عليهم من الحق، ثم اقسم ذلك على فقرائهم، وأقعد على طريق الحاج قوماً ترضاهم، وترضى دينهم وأماناتهم يقوونَ الضعيف، ويغنونَ الفقير، فوالله لو لم يأتني من قبلك إلا كفُّ لرأيتَه من الله قسماً عظيماً والسلام<sup>(١)</sup>.

ففي هذا الكتاب دلالة على أن بعض الولاة السابقين قد حولوا الزكاة إلى ضريبة تؤخذ من المسلمين بقدر محدد، يثبت على حاله عند فقرهم، ويزيد عند غناهم، وفي هذا مخالفة واضحة لشريعة الإسلام، حيث إن الزكاة لها مقادير وأحكام حُدِّدت في الشريعة، ورُوعي فيها حال دافعها من الفقر والغنى، كما روعي فيها أنها ليست ضريبة تُجَبَى لتدخل في مال المسلمين العام، وإنما تؤخذ من أغنياء كل بلد لتُدفع إلى فقرائهم، كما جاء في حديث معاذ لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، وفيه «فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم/٦٥.

و تُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

ولهذه المخالفات التي ذكرها والي اليمن نجد أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله يغضب من ذلك الوضع، ويصفه بأنه الجور حق الجور، ثم يوجه ذلك العامل إلى أن يأخذ من الناس الحق الشرعي في زكاة أموالهم، وأن يردّها على فقرائهم.

كما يأمره فوق ذلك بأن يجعل على طريق الحجاج رجالاً أمناء يقومون بخدمة الحجاج، وتموينهم بما يكفي ضعفاءهم ومحتاجيهم. وبهذا صار عطاء دولته لأمته أكثر من جبايته، فسعدت الأمة به، وزال الفقر عن فقرائها في مدة وجيزة، وفاض المال عند الولاية حتى أصبحوا يستشيرون أمير المؤمنين في صرف هذا المال الفائض.

ومن أمثلة ذلك ما كتب به عمر بن عبد العزيز إلى زيد بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب - وكان على الكوفة - يقول: كتبت تذكر أنه قد اجتمعت عندك أموال بعد إعطية الجند، فأعط منهم من كان عليه دين في غير فساد، أو تزوج فلم يقدر على نقد. والسلام.

(١) صحيح البخاري، الزكاة، رقم ١٣٩٥ (٣/٢٦١).

ثم كتب إليه زيد: إنه قد بقي عندنا بعد ذلك، فكتب إليه عمر:  
أن قوَّ أهل الذمة، فإننا لا نريدهم لسنة ولا لستين<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الخبر نظرة رحمة ومواساة لصنفين من الناس في غاية  
الحاجة والاضطرار، وهما المدينون، فما أشد احتياجهم، وما أبلغ  
همهم! والذين عزموا على الزواج وليس لديهم ما يكفي لتكاليفه، فما  
أعظم فرحتهم، وما أبلغ سعادتهم حينما يُقدَّم لهم ما يسد حاجتهم!  
وأخيرًا لفتة مهمة من أمير المؤمنين عمر حينما أوصى عامله  
بالاهتمام بتقوية أهل الذمة وإصلاح بلادهم، فإنهم يعدُّون مصدرًا  
مهما من مصادر بيت مال المسلمين، فوصيته هذه نظرة مستقبلية جيدة  
لتقوية هذا المصدر.

فله در أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ما أسمى تفكيره، وما  
أبعد نظره!!

### اهتمامه بفداء الأسرى والقضاء عن الغارمين:

من ذلك أنه كتب إلى الأسارى بالقسطنطينية<sup>(٢)</sup>: أما بعد: فإنكم

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم/٦٨.

(٢) كانت عاصمة بلاد الروم وهي الآن مدينة اسطنبول بتركيا - معجم أماكن الفتوح/٧٢-.

تعدُّون أنفسكم أسارى، معاذ الله بل أنتم الحبساء في سبيل الله، واعلموا أني لست أقسم شيئاً بين رعتي إلا خصصت أهليكم بأوفر نصيب وأطيبه، وإني قد بعثت إليكم خمسة دنانير خمسة دنانير، ولولا أني خشيت إن زدتكم أن يجسه طاغية الروم عنكم لزدتكم، وقد بعثت إليكم فلان ابن فلان يفادي صغيركم وكبيركم، ذكركم وأنثاكم، حرَّكم ومملوككم بما سئل به، فأبشروا ثم أبشروا. والسلام عليكم.

وكتب أيضاً إلى عماله: أن اقضوا عن الغارمين، فكتب إليه: إنا نجد الرجل له المسكن والخدام، وله الفرس، وله الأثاث في بيته، فكتب عمر: لا بد للرجل من المسلمين من مسكن يأوي رأسه، وخدام يكفيه مهنته، وفرس يجاهد عليه عدوه، وأثاث في بيته، ومع ذلك فهو غارم فاقضوا عنه ما عليه من الدين<sup>(١)</sup>.

ففي الكتاب الأول يواسي عمر بن عبد العزيز أسرى المسلمين لدى الروم، حيث شبههم بالمرابطين الذين حبسوا أنفسهم في سبيل

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١٦٣-١٦٤.

الله تعالى، فهم بهذا ينالون أجر المرابطين.

وإلى جانب هذه المواساة المعنوية فإنه قد واساهم بالمال الذي أمدهم به، وبما أخبرهم به من كفالة أسرهم في حال غيبتهم، كما أنه وعدهم جميعاً بمفاداتهم لفك أسرهم.

وهذه معاملة كريمة يستحقها هؤلاء الأسرى الذين خرجوا بأنفسهم لحماية الإسلام ونصره.

وفي الخبر الثاني يأمر أمير المؤمنين عمر بقضاء الديون عن الغارمين وإن كانوا يملكون المسكن والأثاث والخادم والفرس، وهو مظهر عظيم من مظاهر الرحمة والمواساة، والاهتمام بشؤون الرعية. وهكذا يتصرف الأئمة العادلون بأموال الأمة، حيث يُغنون به فقيرها، ويجبرون به كسيرها، ويفكُّون به أسيرها، ويقضون به عن معسرها، ويسدُّون به خلَّة معوزها.

### **خبره مع الأسير الأعمى:**

من الأمثلة الرائعة لرحمة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، ما أخرج ابن عبد الحكم قال: وأرسل عمر بن عبد العزيز إلى صاحب

الروم رسولاً، فاتاه وخرج من عنده يدور، فمر بموضع فسمع فيه رجلاً يقرأ القرآن ويطحن، فاتاه فسلم عليه فلم يرد عليه السلام - مرتين أو ثلاثاً - ثم سلم عليه، فقال له: وأنتى بالسلام في هذا البلد! فأعلمه أنه رسول عمر إلى صاحب الروم، فقال له: ما شأنك؟ فقال: إني أسرت من موضع كذا وكذا، فأُتي بي إلى صاحب الروم، فعرض عليّ النصرانية فأبيت، فقال لي إن لم تفعل سمّلتُ عينيك، فاخترت ديني على بصري، فسَمَل عينيّ وصيّرني إلى هذا الموضع، يرسل إلي كل يوم بحنطة أطحنها وبخبزة آكلها.

فسار الرسول إلى عمر بن عبد العزيز فأخبره خبر الرجل قال: فما فرغت من الخبر حتى رأيت دموع عمر قد بلّت ما بين يديه.

ثم أمر فكتب إلى صاحب الروم: أما بعد فقد بلغني خبر فلان ابن فلان فوصف له صفته، وأنا أقسم بالله لئن لم ترسله إلي لأبعثن إليك من الجنود جنوداً يكون أولها عندك وآخرها عندي.

فلما رجع إليه الرسول قال: ما أسرع ما رجعت! فدفع إليه كتاب عمر بن عبد العزيز، فلما قرأه قال: ما كنا لنحمل الرجل الصالح على

هذا، بل نبعث إليه به.

قال: فأقمت أنتظر متى يخرج به، فأتيته ذات يوم فإذا هو قاعد قد نزل عن سريره أعرف في وجهه الكآبة، فقال: تدري لما فعلت هذا؟ فقلت: لا- وقد أنكرت ما رأيت- فقال: إنه قد أتاني من بعض أطرافي أن الرجل الصالح قد مات، فلذلك فعلت ما فعلت، ثم قال: إن الرجل الصالح إذا كان بين القوم السوء لم يُترك بينهم إلا قليلا حتى يخرج من بين أظهرهم.

فقلت له: أتأذن لي أن أنصرف- وأيست من بعثه الرجل معي- فقال: ما كنا لننجبيه إلى ما أمر في حياته ثم نرجع فيه بعد مماته، فأرسل معه الرجل<sup>(١)</sup>.

### وإن في هذا الخبر ثلاثة أمور مهمة:

أ- موقف هذا الرجل المسلم الذي فضّل البقاء على دينه، وتحمل سمل عينيه بالحديد المحمي بالنار حتى فقد بصره، وهنا يقف المتأمل مندهشاً من هذا المشهد المثير، الذي يدل على قوة الإيمان بالإسلام

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم/١٦٨.

والقناعة به، حيث فضل هذا الرجل دينه على صحته وحياته، لأنه يعدُّ هذا الدين هو حياته الحقيقية، ويرى أن مفارقة الإسلام موت لا يدانيه موت.

ولاشك أنه كان لهذا الموقف العالي وأمثاله الأثر البالغ في الدعوة إلى الإسلام، لأن العقل السليم يدل على أن المبدأ الذي يفضله صاحبه على حياته لا يمكن أن يكون عاديًّا كمبادئ البشر المعروفة، لأن المبادئ تُستخدم عادة لرفع قيمة الإنسان في هذه الحياة، فلا يمكن أن يضحِّي الإنسان بحياته من أجلها، وهو إنما يستخدمها للحياة، فلا بد أن المبدأ الذي يبذل صاحبه حياته من أجله وراءه دافع أقوى من مستقبل هذه الحياة، ولا يمكن أن يوجد ذلك إلا في الإسلام الذي كرم الله تعالى فيه الشهداء والذين أوذوا في سبيل هذا الدين، ورفعهم درجات عليا في الجنة.

هذا الرجل المسلم المغمور الذي لم يذكر اسمه مثل هذا الموقف الكبير! فكم في هذه الأمة الإسلامية من المغمورين الذين يزن إيمانهم الجبال الراسيات!

وإذا كان هذا في المغمورين فكيف الحال بالمشاهير الذين لمعت

أسماءهم في مجال التضحية والفداء!؟

ب- وفي هذا الخبر مثل من رحمة عمر بن عبد العزيز البالغة

وإشفاقه على المسلمين حيث بكى ذلك البكاء الشديد من خبر ذلك

الأسير.

ومثل من اهتمامه العظيم بأمور المسلمين حيث كتب إلى ملك

الروم يهدده ذلك التهديد القوي إن لم يُفرج عن ذلك الأسير.

ج- كما أن في هذا الخبر بياناً لأثر العدل في الحكم حتى على

الأعداء المحاربين، فحينما جاء كتاب عمر الذي بلغ حدّاً عالياً في

التهديد لملك الروم ما كان من هذا الملك إلا أن قال: ما كنا لنحمل

الرجل الصالح على هذا.

وحينما بلغه موت عمر تأثر بذلك وظهرت الكآبة على وجهه،

وذلك لأنه حتى الأعداء ينعمون بعدل الأمراء من أعدائهم، لأنهم

يؤمنون خيانتهم وظلمهم لهم ولأتباع دينهم الذين يعيشون في بلاد

هؤلاء الأمراء.

وقد بلغ بملك الروم التأثير بعدل عمر إلى حد أنه وفي بما وعد به حتى بعد موته وقال: ما كنا لننجيه إلى ما أمر في حياته ثم نرجع فيه بعد مماته.

### اهتمامه بأمور الرعية:

قال أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم: وخرج عمر بن عبد العزيز يوماً في ولايته الخلافة بالشام فركب هو ومزاحم - وكان كثيراً ما يركب فيلقى الركبان يتجسس الأخبار عن القرى - فلقبها راكب من أهل المدينة، وسألاه عن الناس وما وراءه وهو الأمر الذي خرجا من أجله. فقال لهما: إن شئنا جمعت لكما خبري، وإن شئنا بعضته تبعيضاً. فقالا: بل اجمعه فقال: إني تركت المدينة والظالم بها مقهور، والمظلوم بها منصور، والغني موفور، والعائل مجبور. فسُرَّ بذلك عمر وقال، والله لأن تكون البلدان كلها على هذه الصفة أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس<sup>(١)</sup>.

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز/ ١٣١.

## مثل من اختياره الولاية:

قال الإمام أبو جعفر الطبري: ثم إن عمر لما أراد استعمال عاملٍ على خراسان. قال فيما ذكر عليّ بن محمد بن خارجة بن مصعب الضبيّ وعبد الله بن المبارك وغيرهما: ابغوني رجلاً صدوقاً أسأله عن خراسان، فقيل له: أبو مجلز لاحق بن حميد. فكتب فيه، فقدم عليه - وكان رجلاً لا تأخذه العين<sup>(١)</sup> فدخل أبو مجلز على عمر في جفة الناس<sup>(٢)</sup>، فلم يُثبته<sup>(٣)</sup> عمر، وخرج مع الناس فسأل عنه فقيل: دخل مع الناس ثم خرج، فدعا به عمر فقال: يا أبا مجلز، لم أعرفك، قال: فهلا أنكرتني إذ لم تعرفني! قال: أخبرني عن عبد الرحمن بن عبد الله، قال: يكافئ الأكفاء، ويعادي الأعداء، وهو أمير يفعل ما يشاء، ويُقدم إن وجد من يساعده. قال: عبد الرحمن بن نعيم، قال: ضعيف لئّن يجب العافية، وتأتي له، قال: الذي يحبّ العافية وتأتي له أحبّ إليّ، فولاه الصّلاة والحرب، وولى عبد الرحمن القشيريّ، ثم أحد بني الأعور بن

(١) يعني أن جسمه لا يلفت النظر.

(٢) جفة الناس: جماعتهم.

(٣) يثبته: لم يعرفه حق المعرفة.

قشير الخراج، وكتب إلى أهل خراسان:

إني استعملتُ عبد الرحمن على حربكم وعبد الرحمن بن عبد الله على خراجكم عن غير معرفة مني بهما ولا اختيار، إلا ما أخبرتُ عنهما، فإن كانا على ما تحبون فاحمدوا الله، وإن كانا على غير ذلك فاستعينوا بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال عليّ: وحدثنا أبو السريّ الأزديّ، عن إبراهيم الصائغ، أن

عمر بن عبد العزيز كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم:

أما بعد، فكن عبدًا ناصحًا لله في عباده، ولا يأخذك في الله لومة لائم، فإن الله أولى بك من الناس، وحقه عليك أعظم، فلا تولّين شيئًا من أمر المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم والتوفير عليهم، وأداء الأمانة فيما استُرعي، وإياك أن يكون ميلك ميلًا إلى غير الحق، فإن الله لا تخفى عليه خافية، ولا تذهبن عن الله مذهبًا، فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه<sup>(١)</sup>.

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٥٦١-٥٦٢، وخراسان تقع اليوم في الشمال الشرقي من إيران

وغربي افغانستان وجنوب تركمانستان - معجم أماكن الفتوح / ٤٤ - .

## مثل من احتياطه في اختيار الولاية:

ذكر الشيخ أبو حفص عمر بن محمد الخضر الملاء: أن بلال بن أبي بردة دخل على عمر بن عبد العزيز وعليه قميص قد شمّره فوق كعبيه وعليه عمامة له حزقانية قد سدّ لها بين كتفيه وقد أثر السجود في وجهه. قال: فاستنطقه عمر فوجده رجلاً سديداً العقل. فقال له: قم يا بلال ارجع إلى منزلك. ثم دعا عمر بن عبد العزيز مزاحماً فقال: يا مزاحم! اختبر لي هذا الرجل -يعني بلالاً- فليس لي غناء عنه إن كان له ورع. فلما خرج مزاحم أرسل إلى بلال فجاء فقال له مزاحم: يا بلال. قال: ما تشاء أصلحك الله. فقال مزاحم: أنا والله أحب الخير لنفسي فماذا لي إن رميت بك على أحد العراقيين؟ فقال: إذا كان ذلك فلك علي ثلاثون ألفاً، والله أنقذك إياها الساعة، وأربعون ألفاً إذا قدمت البلد. ثم قال: الأمر أمرٌ لا يخالف ولا يعصى. فقال مزاحم: ارجع إلى منزلك. قال: وخرج مزاحم حتى دخل على أمير المؤمنين عمر وقال له: عدو الله لص. وأخبره الخبر. فقال عمر: والله إن كاد ليغرني بسجدة وعمامة. والله لا يمسين في عسكري.

انخسوا به. ثم كتب: من عبد الله عمر بن عبد العزيز إلى عدي  
ابن أرطأة، سلام عليك. أما بعد، فإياك وبلاً بلال السوء، وعيينة  
بن أسماء، وحوشب بن يزيد، فإنهم من بقايا السوء فلا تستعيننَّ بهم  
على شيء من عملك والسلام عليك<sup>(١)</sup>.

ففي هذا الخبر ظهر لنا تطبيق أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز  
لعلمه، حيث كان يعلم أن الشرطين الأساسيين للولاية هما اتصاف  
الوالي بالكفاءة والأمانة، وقد عرف اتصاف هذا الرجل بالكفاءة من  
منطقه ومجالسته إياه، ثم كلف مولاه مزاحماً باختباره لمعرفة أمانته،  
لكنه لم ينجح في الاختبار فكان ما كان من استبعاده والتحذير منه.  
وهذا الاهتمام الشديد من عمر بن عبد العزيز يدل على حرصه  
الكبير في التحري في اختيار الولاية، لأن ذلك يضمن له بنسبة كبيرة أن  
تسير الأمور في البلاد الإسلامية على ما يريد من العدل والإصلاح.

---

(١) الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز/٢٤٦، وأخرجه ابن سعد مختصراً ٣٩٥/٥،

والعراقان هما البصرة والكوفة - معجم أماكن الفتوح / ٧٨ - .

### حرصه على تولية الأكفاء:

أخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من خبر الإمام الأوزاعي قال: أراد عمر بن عبد العزيز أن يستعمل رجلاً على عمل فأبى، فقال له عمر: عزمت عليك لتفعلن، فقال الرجل وأنا أعزم على نفسي أن لا أفعل، فقال عمر أتعصيني؟

فقال: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]. أفعصية كان ذلك منهم؟ فأعفاه عمر<sup>(١)</sup>.

### مثل من نباهة عمر وفطنته:

قال أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم: وولى عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المعيطي على جند قنسرين<sup>(٢)</sup> - والفُراتُ بن مسلم على خراجها - فتباغيا، حتى بلغ الأمر بالوليد أن هياً أربعة نفر من كهول قنسرين يشهدون على فرات أنه يدع الصلاة، ويُفطر شهر رمضان

(١) حلية الأولياء ٥/٣١٢.

(٢) هي مدينة في سوريا قرب حلب - معجم أماكن الفتوح / ٧٨ - .

مقيماً صحيحاً، ولا يغتسل من الجنابة، ويأتي أهله وهي طامث.  
فقدموا على عمر بن عبد العزيز فشهدوا بهذه الشهادة، وهم  
مختضبون بالحناء، فقال عمر هذا رمقتموه في صلاته فلم يُصلِّها، إما  
تركها متعمداً وإما ساهياً، ورأيتموه يفطر في ظهر رمضان ولا ترون  
به سقماً، ما علمكم أنه لا يغتسل من الجنابة وغشيانه أهله؟ والله ما  
هذا مما يشتم به ولا سيما فرات في مثل عفافه وأمانته، يا غلام انطلق  
بهؤلاء المشيخة السوء إلى صاحب الشرط، فمُرّه فليضرب كل واحد  
منهم عشرين سوطاً على مفرق رأسه، وليرفق في ضربه لمكان  
أسنانهم، وبحسبهم من الفضيحة ما هم صائرون إليه، إن لم يتغمد الله  
ما كان منهم بعفوه، ثم استوثق منهم بالكفلاء حتى يكون فرات هو  
الآخذ بحقه منهم، أو العافي عنهم، والعفو أقرب للتقوى وأقرب إلى  
الله عز وجل.، ثم أصلح بين الوليد وفرات.

قال: ولما قدم قابل، وقدم الوليد ومعه رؤوس أنباط قنسرين  
كتب عمر بن عبد العزيز إلى الفرّات أن أقدم فقدم، وإنه لقاعد خلف  
سريّر عمر إذ دخل الأنباط، فقال لهم عمر: ماذا أعددتُم لأمرِكُم في

نزله لمسيره إِيَّيَّ قالوا: وهل قدم يا أمير المؤمنين؟ قال: ما علمتم به؟ قالوا: لا والله يا أمير المؤمنين، فأقبل عمر بوجهه على الوليد فقال: يا وليد إن رجلاً ملك قنَّسرين وأرضها خرج يسير في سلطانه وأرضه، حتى انتهى إِيَّيَّ لا يعلم به أحد: ولا ينفر أحدًا ولا يروعه، لخليق أن يكون متواضعًا عفيفًا، قال الوليد: أجل والله يا أمير المؤمنين إنه لعفيف وإني له لظالم، وأستغفر الله وأتوب إليه. فقال عمر: ما أحسن الاعتراف، وأبين فضله على الاصرار، وردَّهما عمر على عملهما فكتب إليه الوليد- وكان مرئيًّا- خديعة منه لعمر، وتزينًا بما هو ليس عليه: إني قدَّرت نفقتي لشهر فوجدتها كذا وكذا درهمًا، ورزقي يزيد على ما أحتاج إليه، فإن رأى أمير المؤمنين أن يحطَّ فضل ذلك، فقال عمر: أراد الوليد أن يتزيَّن عندنا بما لا أظنه عليه، ولو كنت عازلاً أحدًا على ظنِّ لعزلته، ثم أمر بحطِّ رزقه إلى الذي سأله، ثم أمر بالكتاب إلى يزيد بن عبد الملك وهو ولي عهده، إن الوليد بن هشام كتب إِيَّيَّ كتابًا أكثر ظني أنه تزين بما ليس هو عليه، ولو أمضيت شيئًا على ظني ما عمل لي أبدًا، ولكني آخذ بالظاهر وعند الله علم الغيوب، فأنا أقسم

عليك إن حدث بي حادث وأفضى هذا الأمر إليك، فسألك أن تردّ إليه رزقه، وذكر أني نقصته فلا يظفر منك بهذا أبدًا فإنما خادع به الله والله خادعه، فلما مات عمر، واستخلف يزيد كتب إليه الوليد: إن عمر نقصني وظلمني، فغضب يزيد وبعث إليه فعزله وأغرمه كل رزق جرى عليه في ولاية عمر ويزيد كلها، فلم يل له عملاً حتى هلك<sup>(١)</sup>.

في هذا الخبر مثل من الحسد المذموم وما يترتب عليه من الكيد للزملاء في العمل، وهذا ينتج عادة من تضخم شرف الدنيا في النفس وتضاؤل شرف الآخرة فيها، فيعمل الحاسد على تقويض مركز من ينافسونه على شرف الدنيا، ويرتكب من أجل ذلك موبقات منها الكذب والتزوير، ولو أن هذا الحاسد استعمل عقله السليم فأعطى الدنيا حجمها الملائم لها لتواضع بدلاً من أن يتكبر، ولأراح عقله من التفكير الطويل في ملاحقة شرف الدنيا والكيد للمنافسين، ولعفّ لسانه عن قول الكذب والزور، ولعاش قرير العين سعيد النفس بما

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٥١-١٥٣.

قسم الله له من مال الدنيا وشرفها، ولطلب بفكره وعمله شرف الآخرة الذي لا يترتب عليه حسد مذموم ولا كبر وبطر ولا إشغال للفكر بتدبير المكائد والمؤامرات.

ولما كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز خبيراً بأدواء النفوس وتجاوزاتها فإنه قد أدرك على الفور أن وراء الأكمة ما وراءها، وأن مجيء أولئك الشيوخ وتصريحهم بما أدلوا به من قدح مشين بأمرهم فرات بن مسلم ما هو إلا حلقة من حلقات مؤامرة مدبرة لإيغار صدره عليه وعزله عن منصبه، فهداه الله تعالى إلى استعمال فكره السليم في نقض تلك الدعاوى، ووضع أصحابها في قفص الاتهام حتى تتضح الرؤية ويتبين الحق، ولقد كان واثقاً من كذب تلك الدعاوى حيث أمر بإجراء العقوبة على أصحابها، ثم لم يكن بحاجة إلى إكمال التحقيق في القضية لأن الأمر من الوضوح بحيث حمل صاحب المؤامرة على الاعتراف بخطئه والحكم على نفسه بالظلم لزميله في العمل والثناء عليه بما يستحقه من صفات الكمال، ثم لما كان هذا الاعتراف بالخطأ برزت أخلاق عمر بن عبد العزيز المتمثلة

بالعفو والرحمة وتقدير المواقف الإيمانية.

وحينما طلب منه الوليد بن هشام المُعْطِي أن ينقص من راتبه أدرك خداعه في اختلاف سريرته مع علانيته، حيث أظهر العفة والزهد ليصل إلى كسب الثقة وعلو المنزلة عند عمر بن عبد العزيز الذي يعظم هذا الاتجاه، ولكن أمير المؤمنين أدرك ذلك فحقق له مطلبه، وفي الوقت نفسه فوّت عليه الفرصة في نيل مقاصده، ولقد كان أمير المؤمنين عظيم الورع حينما لم يحكم عليه بمجرد ظنه، وإنما قاده هذا الظن إلى عمل الاحتياطات اللازمة لتفادي ما قد يكون من ذلك الوالي من جنوح في المستقبل.

فما أعظم عمر بن عبد العزيز في فطنته وفراسته وحزمه!!

وما أعظمه في رحمته وعفوه وورعه!!

### موقفه في رفع الظلم عن زيد بن حسن:

قال أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم: وكتب الوليد بن عبد الملك إلى زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب، يسأله أن يبايع لعبد العزيز بن الوليد، ويخلع سليمان بن عبد الملك، ففرّق<sup>(١)</sup> زيد من الوليد فأجابته، فلما

(١) أي خاف.

استُخلف سليمان وجد كتاب زيد إلى الوليد بذلك فكتب إلى أبي بكر ابن حزم- وهو أمير المدينة- ادع زيد بن حسن فأقرئه هذا الكتاب فإن عرفه فاكتب إلي بذلك، وإن نكل فقدمه فأظهر يمينه على منبر رسول الله ﷺ: ما كتب هذا الكتاب ولا أمر، فأرسل إليه أبو بكر بن حزم فأقرأه الكتاب، فقال: أنظرنى ما بينى وبين العشاء أستخير الله. قال: فأرسل زيد بن حسن إلى القاسم بن محمد، وسالم بن عبدالله يستشيرهما.

قال: فأقاما معها ربيعة فذكر لهما ذلك، وقال: إني لم أكن آمنُ الوليد على دمي لو لم أجبه، فقد كتبت هذا الكتاب، أفترون أن أحلف؟ فقالوا: لا تحلف ولا تبارز الله عز وجل عند منبر رسول الله ﷺ، فإننا نرجو أن يُنجيك الله بالصدق، فأقرّ بالكتاب ولم يحلف. فكتب بذلك أبو بكر بن حزم إلى سليمان، فكتب سليمان إلى أبي بكر أن يضربه مائة سوط، ويُدرعه عباءة، ويُمشيه حافياً، فتشكى سليمان. فقال عمر بن عبد العزيز للرسول: لا تخرج حتى نكلم أمير المؤمنين فيما كتب إلى زيد بن حسن، لعلي أستطيب نفسه فيترك هذا الكتاب. قال: فحبس الرسول والكتاب، ومرض سليمان فقال عمر: لا تخرج

فإن أمير المؤمنين مريض، إلى أن رُمي في جنازة سليمان، وأفضى الأمر إلى عمر بن عبد العزيز فدعا بالكتاب فخرقه<sup>(١)</sup>.

وهكذا نجى الله تعالى زيد بن حسن من بأس سليمان بن عبد الملك وبطشه بذلك السلوك الحكيم من عمر بن عبد العزيز، وإنه لعجيب من أولئك الأمراء أن يخرجوا كبراء الأمة وفضلاءها بإدخالهم في تجاوزاتهم السياسية وجعلهم معرضين لنقمة الحاكم الحالي إن لم يوافقوا على تحقيق مراده أو نقمة الحاكم القادم إن وافقوا على ذلك، فكان زيد بن حسن قد فضل درء الشر الحاضر على أمل أن لا يكون الشر المستقبل، ولكنه وقع وكاد أن يتعرض للتعذيب المذكور لولا أن أنقذه الله تعالى بما فعله عمر بن عبد العزيز.

### شكوى عمته باسم بني أمية:

أخرج محمد بن سعد من خبر عبيد الله بن محمد التيمي قال: سمعت أبي وغيره يحدث أن عمر بن عبد العزيز لما ولي منع قرابته ما كان يجري عليهم وأخذ منهم القطائع التي كانت في أيديهم، قال

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم/ ١١٩-١٢٠.

فشكوه إلى عمته أم عمر، قال فدخلت عليه فقالت: إن قرابتك يشكونك ويزعمون ويذكرون أنك أخذت منهم خير غيرك، قال: ما منعهم حقًا أو شيئًا كان لهم ولا أخذت منهم حقًا أو شيئًا كان لهم. فقالت: إني رأيتهم يتكلمون وإني أخاف أن يهيجوا عليك يومًا عصيبًا. فقال: كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقاني الله شره. قال فدعا بدينار وجنب ومجمره فألقى ذلك الدينار في النار وجعل ينفخ على الدينار حتى إذا أحمر تناوله بشيء فألقاه على الجنب فنش وقتر فقال: أي عمّة أما تأوين لابن أخيك من مثل هذا؟ قال فقامت فخرجت على قرابته فقالت: تزوجون إلى عمر فإذا نزعوا الشبه جزعتم، اصبروا له<sup>(١)</sup>.

ففي هذا الخبر بيان زهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بهذه الحياة الدنيا وعدم مبالاته بما جري عليه فيها من مصائب، فإن الشيء الوحيد الذي يهتم له هو ما سيكون عليه مآله بعد الموت، فكل تهديد يوجه إليه في هذه الحياة الدنيا فإنه لا يثير خوفه ولا يحسب له حسابًا،

(١) طبقات ابن سعد ٥/٣٧٣، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي/٩٦.

وهذا فيه تئیس لمن سيعملون ضده لأنه لا يجذبه طمع ولا يخيفه فزع،  
ومن أجل أن يكون تصور أهوال الآخرة أبلغ فإنه قام بتمثيل مصغر  
لعذاب النار أمام عمته لتتأثر بذلك الموقف ولتنقل الصورة إلى بني  
أمية لعلهم يتذكرون ويعتبرون.

### تأديبه لمن سخر أهل الذمة:

أخرج محمد بن سعد من خبر سهل بن شعيب أن ربيعة  
الشعوذي حدثهم قال: ركبُ البريد إلى عمر بن عبد العزيز فانقطع  
في بعض أرض الشام فركبت السُّخْرَةَ<sup>(١)</sup> حتى أتيته وهو بخناصرة  
فقال: ما فعل جناح المسلمين؟ قال قلت: وما جناح المسلمين يا أمير  
المؤمنين؟ قال البريد قال قلت: انقطع في أرض أو مكان كذا وكذا.  
قال: فعلى أي شيء أتيتنا؟ قال قلت: على السخرة تسخرت دوابَّ  
النبط.

قال: تسخرون في سلطاني؟ قال فأمر بي فضربتُ أربعين سوطاً،

---

(١) يعني من مر بهم من أهل الذمة ليحملوه على دوابهم.

رحمه الله<sup>(١)</sup>.

فهذا من أبلغ أمثلة العدل، حيث يأمر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بضرب أحد عماله لكونه سخرَّ أهل الذمة لحملة على دوابهم، فهو يرى أن ذلك ظلم لهم، فما أسمى أحكام الإسلام التي يصل بها أهل الذمة من الكفار إلى حقوقهم الكاملة ويتمتعون بها بالعدل والأمن!! ولكن هذه الأحكام تحتاج إلى حكام عادلين لتمثل في واقع الحياة فيشاهدها الناس أجمعون، ويكون لها الأثر الكبير في تعظيم الإسلام والانجذاب إليه.

### مثل من بركة الحكم بالعدل:

أخرج الحافظ أبو نعيم من خبر إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني حدثني أبي عن جدي. قال: لما ولاني عمر بن عبد العزيز الموصل، قدمتها فوجدتها من أكبر البلاد سرقا ونقبا، فكتبت إلى عمر أعلمه حال البلد وأسأله: آخذ من الناس بالمظنة وأضربهم على التهمة أو آخذهم بالبيئة وما جرت عليه عادة الناس؟ فكتب إليّ أن آخذ

(١) طبقات ابن سعد ٣٧٤/٥، وخصاصة بليدة كانت من أعمال حلب تحاذي قنسرين -

معجم أماكن الفتوح / ٤٦ - .

الناس بالبينة وما جرت عليه السنة، فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله.

قال يحيى: ففعلت ذلك فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقا ونقبا<sup>(١)</sup>.

فهذا مثال على أن البركة والسعادة والأمن تتوافر في تطبيق شريعة الإسلام، فإن عصاة المسلمين وإن جرت منهم جنوحات إجرامية فإنهم مؤمنون بالله تعالى واليوم الآخر، فإذا شعروا بأنهم يُحكَمون بالدين وأن الحاكم صادق ومخلص في تطبيق الإسلام فإنهم يرتدعون بأقل الروادع، ويصبح من يلومهم على إجرامهم يتكلم باسم الدين فيرعوي من في قلبه بقية من جذوة الإيمان ويقظة الضمير، ولا يصر على الإجرام إلا من قست قلوبهم وغلظت طباعهم، وهؤلاء لا يرتدعون إلا بتطبيق الحدود الشرعية، ولكن عددهم في المجتمع الإسلامي محدود، فالقضاء على الجرائم - والحال هذه - متيسر للحاكم العادل الذي يطبق الحق على كل المسلمين، ومن

(١) حلية الأولياء ٢٧١/٥.

هذا المنطلق نجح هذا الحاكم في إقرار الأمن والقضاء على الجرائم.  
أما إذا كان الحاكم يأخذ الناس بالظن ولا يتقيد بأحكام الشريعة  
فإن من عندهم ميل للجرائم يغالبون الحاكم بالتحدي، ولا ينشط  
المتقون للإنكار على المجرمين لأن القضية تكون بينهم وبين سلطان  
متجبر، فيكون موقف المتقين ضعيفاً حينها يقاومون أصحاب الجرائم  
لأن موقفهم قد اقترن بموقف الحاكم المتسلط.

### **إنصافه الأعراب من بعض بني أمية :**

أخرج عبد الله بن الإمام أحمد من خبر سليمان بن موسى أنه بلغه  
أن قوماً من الأعراب خاصموا إلى عمر بن عبد العزيز قوماً من بني  
مروان في أرض كانت الأعراب أحيوها، فأخذها الوليد بن عبد الملك  
فأعطاه بعض أهله، فقال عمر بن عبد العزيز: قال رسول الله ﷺ:  
«البلاد بلاد الله والعباد عباد الله، من أحيى أرضاً ميتة فهي له»، فردها  
على الأعراب<sup>(١)</sup>.

فهذا مثل من عدل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله

---

(١) الزهد للإمام أحمد بن حنبل / ٢٩٠ / ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٨٥ .

تعالى، حيث أنصف الأبعاد عنه من المقربين إليه، وفي الخبر دلالة على أهمية العلم الشرعي للحاكم وأثر ذلك في سلوك الطريق المستقيم والسلامة من الزلل.

### وصيته عماله بالتقوى والعدل:

قال ابن عبد الحكم: وكتب عمر بن عبد العزيز: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العمال<sup>(١)</sup>، أما بعد: فإن هذا الأمر الذي ولاني الله لو كنت إنما أصبحت ورغبتني فيه مطعم أو ملبس أو مركب أو اتخاذ أزواج أو اعتقاد أموال لكنت قد بلغ الله بي من ذلك قبل ما ولاني من أفضل ما بلغ بعباده، ولكنني أصبحت له خائفاً، أعلم أن فيه أمراً عظيماً وحساباً شديداً ومسألة غليظة<sup>(٢)</sup> عند مجاهدة الخصوم بين يدي الله إلا ما عافى الله ورحم ودفع، وإني أمرت فيما وليتك من عملي وأفضيت إليك من أمري بتقوى الله، وأداء الأمانة واتباع ما أمر الله به واجتناب ما نهى الله عنه، وقلة الالتفات إلى شيء خالف ذلك، ليكون الذي أمرت به في سيرتك والنظر في نفسك وفي عملك وما تفضي به

(١) في تاريخ الطبري أن هذا الخطاب موجه إلى يزيد بن المهلب.

(٢) في كتاب ابن عبد الحكم ((الطيفة)) وأثبت ما في تاريخ الطبري لأنه أنسب لسياق الكلام.

إلى ربك وما تعمل به فيما بينك وبين الرعية قبلك، وأنت تعلم علماً يقيناً أنه ليس نجاة ولا حرز إلا أن تنزل بذلك المنزل من طاعة الله، ودع أن ترصد شيئاً ليوم ترجوه أو تخافه سوى ما ترجوه غداً من الله تعالى وتخاف منه، فإنك قد رأيت عبراً في نفسك وعبراً ما مثلها وعُظ مثلنا، وكفى ومثلها أصابك إلى حظك من الله، والسلام<sup>(١)</sup>.

فهذا الخطاب يبين عظمة شعور أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بالمسؤولية، حيث فهم وبين أن الولاية مغرم لا مغنم، فهي جدُّ وعمل وهمُّ متواصل، وإنما يدفع إلى فهم حقيقتها، والنجاة من مزالقتها شعور صاحبها بالوقوف بين يدي الله تعالى للحساب، وأن يُعدَّ لكل قضية جواباً، فإذا لم يستطع إعداد الجواب في الدنيا فإنه أعجز عنه في الآخرة، وإنما يكون إعداد الجواب بتنقية السيرة وتطهير السريرة، وبذل الجهد في الإصلاح، فإن العامل لا يُلام بعد بذل الجهد على ما كان منه من تقصير أو خطأ لا يعلمه، أما إذا كان هدف العامل اكتساب مجد الدنيا ومتاعها وتجنب خسارتها فإنه قد حكم على نفسه

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٩٢، تاريخ الطبري ٦/ ٥٦٦-٥٦٧.

بالهلاك، وضيع باختياره سبيل النجاة، فلا يلومنَّ إلا نفسه المفرطة،  
ولا يَنْتَقِصَنَّ إلا فكره المنحرف.

ومن ذلك ما ذكره أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم رحمه الله  
تعالى قال: وكتب عمر بن عبد العزيز: من عبد الله عمر بن عبد العزيز  
أمير المؤمنين إلى أمير الأجناد: أما بعد فإنه من يلي بالسلطان تحضره  
مكاره كثيرة وبلايا عظام، إن غابت عنه يوماً فهي حَرِيَّةٌ أن تحضره في  
اليوم الآخر، وإنه ليس أحد بأشغل عن نفسه ولا أكثر تعرضاً لزيغ  
من ولي السلطان، إلا ما عافى الله ورحم، فاتق الله ما استطعت، واذكر  
منزلك الذي أنت به والذي حُمَّلت، وقاتل هواك كما تقاتل عدوك،  
واصبر نفسك عما كرهت ابتغاء ما عند الله من حسن ثوابه الذي وعد  
به المتقين فيما بعد الموت، والذي وعدكم على التقوى والصبر من  
النجاة في عاجل الأمر وآجله، فإذا حضرك الخصم الجاهل الحَرِقَ ممن  
قدر الله أن يوليكَ أمره وأن تبلى به فرأيت منه سوء رِعةٍ وسوء سيرة  
في الحق الذي عليه والحظ الذي له فسدَّده ما استطعت وبصَّره، وارفق  
به وعلمه، فإن اهتدى وأبصر وعلم كانت نعمة من الله وفضلاً، وإن

هو لم يبصر ولم يعلم كانت حجة اتخذت بها عليه، فإن رأيت أنه أتى ذنباً استحق فيه عقوبة فلا تعاقبه بغضب من نفسك عليه، ولكن عاقبه وأنت تتحرى الحق في قدر ذنبه بالغاً ما بلغ، وإن لم يبلغ ذلك إلا قدر جَلدة واحدة تجلده إياها، وإن كان ذنبه فوق ذلك، ورأيت عليه من العقوبة في ذلك قَتلاً فما دونه فأرجعه إلى السجن، ولا يسرعنَّ بك إلى عقوبته حضور من يحضرك، فإنه لعمرى ربها عاقب الإمام لمحضر جلسائه، ولتأديب أهل بلده ولتغامزهم به، وما من إمام له جلساء إلا سيكون ذلك فيهم وما من قوم يسمعون بقضاء إمام إلا سيختلفون فيه على أهوائهم، إلا من رحم الله، فإن من رحم الله لا يختلفون في قضاء، فإنه قال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ ١١٨ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١١٩﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

وإذا استجهلت فتشبت، وإذا نظر إليك من حولك ما أنت فاعل بسفيه من رعيتك إن سفه أو أخطأ خطيئة فاعمد في ذلك للذي ترى أنه أبرُّ وأتقى وخيرٌ لك غداً فيما بعد الموت، ولا يطربك نظرهم إليك ولا حديثهم عنك فإنهم لا يبقى في أنفسهم حديثٌ أحبُّوه أو كرهوه

إِلَّا قَلِيلًا إِلَّا أَبَدَوْهُ. فَاغْتَنِمْ كُلَّ يَوْمٍ أَخْرَجَكَ اللَّهُ فِيهِ سَالِمًا، وَكُلَّ لَيْلَةٍ  
مَضَتْ عَلَيْكَ وَأَنْتَ فِيهَا كَذَلِكَ وَأَكْثَرَ مِنْ دَعَاءِ اللَّهِ بِالْعَافِيَةِ لِنَفْسِكَ،  
وَلِمَنْ وَلَاكَ اللَّهُ أَمْرَهُ، فَإِنَّ لَكَ فِي صِلَاحِهِمْ مَا لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ وَإِنَّ  
عَلَيْكَ فِي فِسَادِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ مَا لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ.  
وَلَا تَبْتَغِ مِنْهُمْ جِزَاءَ خَيْرٍ أَحْسَنَتْهُ إِلَيْهِمْ، وَلَا بِتَسْدِيدِ سُدُودِهِمْ،  
وَلَا تَطْلُبْ بِعَمَلٍ صَالِحٍ عَمَلْتَهُ فِيهِمْ جِزَاءً وَلَا ثَوَابًا وَلَا مَدْحَةً وَلَا  
حِظْوَةً، وَلِيَكُنْ ذَلِكَ لِمَنْ لَا يُعْطَى الْخَيْرَ وَلَا يُصْرَفُ السُّوءَ غَيْرَهُ، ثُمَّ  
تُعَاهِدُ صَاحِبَ بَابِكَ وَصَاحِبَ حِرْسِكَ وَعَامِلَكَ الْمُقِيمَ عِنْدَكَ وَالَّذِينَ  
تَبْعَثُ، فَلَا يَعْمَلُونَ فِي شَيْءٍ مِمَّا تَحْتَ يَدِكَ بَغْشَمَ وَلَا بَظْلَمَ، وَأَكْثَرَ  
الْمَسْأَلَةِ عَنْهُمْ، فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُحْسِنًا نَفَعَهُ ذَلِكَ، وَمَنْ كَانَ مُسِيئًا  
اسْتَبَدَلَتْ بِهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ.

نَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّنَا بِرَحْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى خَلْقِهِ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا وَأَنْ  
يَسِّرَ لَنَا أُمُورَنَا، وَأَنْ يَشْرَحَ لَنَا صُدُورَنَا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَالعَمَلِ فِيهَا  
يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَأَنْ يَعْصِمَنَا مِنَ الْمَكَارِهِ كُلِّهَا، وَأَنْ يُجْعِلَنَا مِنَ الَّذِينَ لَا  
يُرِيدُونَ عَلْوًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا، وَمِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ،

والسلام عليكم ورحمة الله<sup>(١)</sup>.

ففي هذا الكتاب بيان خطورة الولاية وأنها مزلة قدم، ولا يسلم من زلاتها إلا من رحمه الله تعالى، فالولاية إما عمل صالح عظيم الدرجات لمن عف وعدل واستقام، وإما عمل سيئ يؤدي إلى الهلاك لمن رتع وجار وانحرف، ولولا أنها في بعض صورها عمل صالح لما أقدم عليها من يخشى الله ويتقيه.

وإذا تقلد الإنسان ولاية برز هوى نفسه الأمانة بالسوء لكثرة المغريات، فإذا لم يتصور الإنسان نفسه التي بين جنبيه عدوًّا له في بعض الأحيان فإنه سالك سبيل الهلاك، لأنه لن يعمل على كبح جماح النفس وتقويمها، وقد تكره النفس الاستقامة على منهج الإسلام الكامل، فلا بد من إكراهها على سلوك هذا السبيل، وسيتحول الأمر بعد شيء من المعاناة - تقصر أو تطول - إلى منهل عذب وسبيل رحب، تهواه النفس المطمئنة وتنافس عليه.

والمسؤول يتلى بمعاملة الناس على مختلف أذواقهم ومشاربهم،

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٨١-٨٣.

وقد تتحول هذه المعاملة إلى معاناة ومكابدة، فلا يغتر المسؤول بكونه أقدر على أفراد رعيته منهم عليه فيعاملهم بشيء من العنف والقسوة وإن ساءت معه أخلاقهم وغلظت معه طباعهم، بل عليه أن يبذل جهده في تعليم الجاهل الأدب وحسن المعاملة، فإن التعليم من الأعلى له دوره المؤثر، حيث إنه يملك هبة المسؤولية، فإذا تحول عما ينتظر منه عادة من محاولة فرض السيطرة إلى محاولة تعليم الناس وتهذيب أخلاقهم فإن النفوس تُكبر ذلك فيه وتقبل على توجيهه.

وإذا أخطأ أحد أفراد الرعية خطأ يستحق عليه العقوبة فمن واجب الوالي أن يتأنى في إجراء العقوبة، وأن لا يحكم عليه وهو غضبان، فإن مع الغضب شيطاناً، والقوة الغضبية أميل إلى الجور والعسف، ولذلك أمر النبي ﷺ من غضب بالوضوء أو بالقعود إن كان قائماً ليزول غضبه قبل أن يتصرف، وليندحر شيطانه.

وإن من فضائل بعض الأنظمة الإدارية المعاصرة أن المسؤول لا يجري العقوبة وحده، وإنما يحيل الأمر إلى لجنة مختصة بدراسة القضايا وتحديد العقوبات المناسبة، فإن هذا النظام يبعد حالة التصرف مع

الغضب تمامًا، ويتيح الفرصة لدراسة الأمور بتؤدة وروية ومشورة بين عدد من الأفراد، فهو أدنى إلى الثبت والعدالة، وأبعد من المجازفة والجور.

وإن مما يحمل المسؤول أحياناً على القسوة والحيث محاولة الإبقاء على هيئة السلطة والظهور أمام جلسائه ومن تحت إدارته بمظهر القوة، وقد يداهنه من حوله بتحريضه على المخالف لظنهم بأن ذلك يكسبهم رضاه، فيسهمون بذلك في حمله على الظلم.

وقد يحصل ما هو ضد ذلك إذا كان لبعض الجلساء أو الإداريين غرض في التخفيف عن المخالف فيحاولون أن يؤثروا على المسؤول ليعفو عن المخالف، وقد يترتب على ذلك تضييع بعض الحقوق أو الجرأة على المخالفة.

ولذلك فإن من أقوى العواصم من الانحراف في الحكم أن تحال القضايا إلى لجان متخصصة لدراستها وتقدير العقوبة المناسبة مع حسن اختيار أعضائها ومراقبتهم.

وإن مما أوصى به عمر بن عبد العزيز في هذا الخطاب أن لا

يستجلب المسؤول بما يقدمه من خير وإصلاح ثناء الناس ولا جزاءهم، وإنما يطلب من الله تعالى الأجر والثواب على عمله ليكون خالصًا، وإذا كان كذلك فإنه أدعى للنجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة.

### **خبره مع المرأة التي فرض لبناتها من بيت المال:**

أخرج ابن عبد الحكم رحمه الله، قال: وقدمت امرأة من العراق على عمر بن عبد العزيز، فلما صارت إلى بابه قالت: هل على أمير المؤمنين حاجب؟ فقالوا: لا فليجي إن أحببت، فدخلت المرأة على فاطمة وهي جالسة في بيتها، وفي يدها قطن تعالجه، فسلمت فردت عليها السلام وقالت لها: ادخلي، فلما جلست المرأة رفعت بصرها فلم تر في البيت شيئاً له بال، فقالت: إنما جئت لأعمر بيتي من هذا البيت الخرب، فقالت لها فاطمة: إنما خرب هذا البيت عمارة بيوت أمثالك.

قال: فأقبل عمر حتى دخل الدار، فمال إلى بئر في ناحية الدار فانتزع منها دلاء فصبها على طين كان بحضرة البيت - وهو يكثر النظر إلى فاطمة - فقالت لها المرأة: استتري من هذا الطيان فإني أراه

يديم النظر إليك، فقالت: ليس هو بطيان، هو أمير المؤمنين.  
قال: ثم أقبل عمر فسلم ودخل بيته، فمال إلى مصليّ كان له في  
البيت يصلي فيه، فسأل فاطمة عن المرأة، فقالت: هي هذه فأخذ  
مكتلا له فيه شيء من عنب فجعل يتخير لها خَيْرَه يناولها إياه، ثم أقبل  
عليها فقال: ما حاجتك؟ فقالت: امرأة من أهل العراق لي خمس بنات  
كُسِّلُ كُسْد، فجئتك أبتغي حسن نظرك لهن، فجعل يقول: كسل  
كسد، ويبكي، فأخذ الدواة والقرطاس فكتب إلى والي العراق، فقال  
سمي كبراهن، فسمتها ففرض لها، فقالت المرأة: الحمد لله، ثم سأل  
عن الثانية والثالثة والرابعة، والمرأة تحمد الله ففرض لها، فلما فرض  
للأربع استفزها الفرح فدعت له فجزته خيرا، فرفع يده وقال: كنا  
نفرض لهن حيث كنت تُولين الحمد أهله، فَمَرِي هَوْلَاء الأربع يُفَضِّن  
على هذه الخامسة.

فخرجت بالكتاب حتى أتت به العراق، فدفعته إلى والي العراق،  
فلما ذهبت إليه بالكتاب بكى واشتد بكاءه، وقال: رحم الله صاحب  
هذا الكتاب، فقالت: أمات؟ قال: نعم، فصاحت وولولت، فقال: لا

بأس عليك، ما كنت لأرد كتابه في شيء، ففضى حاجتها وفرض لبناتها<sup>(١)</sup>.

### في هذا الخبر عدة مواقف:

الأول: شهادة تلك المرأة على زهد عمر بن عبد العزيز، حيث لم تجد في بيته شيئاً يُذكر من الأثاث، فيئست من الحصول على ما يصلح شأنها من صاحب ذلك البيت الخرب، ولكن زوجة عمر فاطمة بنت عبد الملك طمأنتها، حيث بينت لها أن خراب بيت أمير المؤمنين، إنما هو بسبب عمارته بيوت الرعية، حيث اقتصد في الإنفاق على أسرته وأقاربه، ووسع في الإنفاق على الرعية.

الموقف الثاني: في تواضع عمر بن عبد العزيز البالغ، وقد ظهر ذلك في قيامه بإصلاح ما خرب من بيته بنفسه، حيث صار يخلط الطين ويصلح به ما تهدم من بيته، حتى ظنَّته تلك المرأة طيَّاناً، وحيث قام بعد ذلك بانتقاء جيد الفاكهة ومناولته تلك المرأة المسكينة.

ولا شك أن تواضع الكبار وقيامهم بمثل هذا العمل المدهش،

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١٦٩.

يعدُّ من أهم أسباب تقوية المحبة وتثبيت الولاء، كما أنه من أبلغ الوسائل لتربية الأمة على التواضع، لأن من في قلبه ميل إلى الكبر سيجد في نفسه صدودًا عن ذلك، وقناعةً بالاعتدال في السلوك، تأسياً بأولئك الأكابر.

والموقف الثالث: في اهتمامه بأمر تلك المرأة المسكينة حيث فرض لها ولبناتها ما يكفيهم من بيت مال المسلمين، بينما نجده قويًّا متصلبًا في معاملة الأكابر، الذين يريدون أن يأخذوا من مال المسلمين ما لا يحل لهم، فهو لين متواضع لطلاب الحق، شديد قوي على طلاب الباطل.

الموقف الرابع: في جواب عمر لتلك المرأة حينما شكرته لما فرض لبنتها الرابعة بعد أن كانت تشكر الله تعالى، حيث أوقف فرض العطاء لبنتها الخامسة وأمرها بأن تُفيض عليها من عطاء أخواتها، وهذا الموقف يبين عظمة فهم عمر لتوحيد الله تعالى، ومبلغ تذكركه لعظمته، وحمده لنعمته، وقد قام بما قام به من هذا التصرف ليعطى تلك المرأة وغيرها درسًا عمليًّا في التوحيد هو أبلغ من الدروس النظرية.

وليس معنى هذا أن شكر المحسنين والدعاء لهم يتنافى مع التوحيد فإن النبي ﷺ يقول «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»<sup>(١)</sup>، ويقول «من صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»<sup>(٢)</sup>، وعمر بن عبد العزيز من أعلم المسلمين بالسنة ولكن لما بدأت تلك المرأة بحمد الله تعالى ثم قطعت ذلك وتحولت إلى شكره هو والدعاء له أحس بأن ذلك مخلٌ بالتوحيد لأن فيه إشعاراً بتقديم شكر المخلوق على شكر الخالق جل وعلا.

### إنصافه الذميين من أهل نجران :

أخرج المؤرخ أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري من خبر الحسن البصري قال: جاء راهبا نجران إلى النبي ﷺ فعرض عليهما الإسلام فقالا: إنا قد أسلمنا قبلك، فقال، كذبتما يمنعهما من الإسلام ثلاث، أكلكما الخنزير، وعبادتكما الصليب، وقولكما لله ولد. قال، فمن أبو عيسى قال الحسن: وكان ﷺ لا يعجل حتى يأمره ربه فأنزل

(١) مسند أحمد ٢/٢٥٨.

(٢) سنن أبي داود، رقم ١٦٧٢، الزكاة ١/ ٣١٠، مسند أحمد ٢/ ٦٨.

الله تعالى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿﴾ [آل عمران ٥٨-٥٩].

فقرأها رسول الله ﷺ عليهما ثم دعاهما إلى المباهلة<sup>(١)</sup> وأخذ بيد فاطمة والحسن والحسين فقال أحدهما لصاحبه: اصعد الجبل ولا تباهله فإنك إن باهلته بؤت باللعنة، قال: فما ترى قال: أرى أن نعطيهِ الخراج ولا نباهله.

ثم ذكر كتاب النبي ﷺ إليهم وفيه أنه وضع عليهم ألفي حلة في كل عام.

ثم ذكر أن أبا بكر رضي الله عنه أمضى ذلك عليهم.

ثم ذكر رواية من خبر سالم بن أبي الجعد قال: كان أهل نجران<sup>(٢)</sup> قد بلغوا أربعين ألفاً فتحاسدوا بينهم فأتوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا: أجلنا، وكان عمر قد خافهم على المسلمين فاغتنمها فأجلاهم، فندموا بعد ذلك وأتوه فقالوا: أقلنا، فأبى ذلك، فلما قام علي بن أبي

(١) المباهلة: الملاسة وهي أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولون لعنة الله على الظالم منا.

(٢) نجران مدينة تقع في جنوب غرب السعودية - معجم أماكن الفتوح / ٩٥ - .

طالب ﷺ أتوه فقالوا: ننشدك خطك بيمينك<sup>(١)</sup> وشفاعتك لنا عند نبيك  
إلا أقتلنا، فقال: إن عمر كان رشيد الأمر وأنا أكره خلافه.

وذكر أن بعضهم جلا إلى الشام وبعضهم إلى الكوفة ونزلوا في  
ناحية سُميت النجرانية باسمهم.

وذكر أنهم أتوا إلى عثمان بن عفان ﷺ وأنه كتب إلى عامله على  
الكوفة الوليد بن عقبة بأن يضع من جزيتهم مائتي حلة لوجه الله  
تعالى وعُقبي لهم من أرضهم وقال: وإني أوصيك بهم فإنهم قوم لهم  
ذمة.

وذكر أنهم لما ولي معاوية ﷺ أو يزيد بن معاوية شكوا إليه  
تفرقهم وموت من مات منهم وإسلام من أسلم منهم وأنهم أحضروا  
كتاب عثمان بن عفان ﷺ بها حط عنهم من الحلل، وقالوا: إنما ازددنا  
نقصانا وضعفا فوضع عنهم مائتي حلة تنمة أربعمئة حلة.

قال: فلما ولي الحجاج بن يوسف العراق وخرج ابن الأشعث  
عليه اتهم الدهاقين<sup>(٢)</sup> بمولاته واتهمهم معهم فردهم إلى ألف وثمانمئة

(١) يعني أنه هو الذي كتب لهم الكتاب في عهد رسول الله ﷺ .

(٢) الدهاقين جمع دهقان، وتعني رئيس القرية ومن له مال وعقار - المعجم الوسيط/ ٣٠٠-.

حلة، وألزمهم بنوع جيد منها.

قال: فلما ولي عمر بن عبد العزيز شكوا إليه فناءهم ونقصانهم وإلحاح الأعراب بالغارة عليهم وتحميلهم إياهم المؤن المجحفة بهم وظلم الحجاج إياهم، فأمر فأحصوا فوجدوا على العشر من عزتهم الأولى، فقال: أرى هذا الصلح جزية على رؤوسهم وليس هو بصلح على أرضيهم، وجزية الميت والمسلم ساقطة فالزمهم مائتي حلة قيمتها ثمانية آلاف درهم<sup>(١)</sup>. فهذا الخبر يبين لنا شيئاً من علم أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وعدله ورحمته، فهو قد أدرك بأن جزية الذميين من أهل نجران على رؤوسهم وليست على أراضيهم، والأفراد ليس عددهم ثابتاً بل يزيدون وينقصون، ولما كان عددهم قد أصبح على العشر من عددهم أيام رسول الله ﷺ فإن جزيتهم ينبغي أن تنقص إلى العشر، وهذا من الفقه في معرفة السنة النبوية، وقد كَلَّلَ فهمه هذا بالعدل والرحمة، حيث أنقص جزيتهم إلى العشر، وهو بهذا يكون قد طبق سنة النبي ﷺ في تقدير جزيتهم.

(١) فتوح البلدان / ٨٦ - ٩١، والنجرانية بناحية الكوفة سكنها أهل نجران فسميت بهم -

معجم أماكن الفتوح / ٩٥ - .

### **إنصافه الذميين من أهل قبرص:**

أخرج البلاذري من طريق محمد بن سعد عن الواقدي بإسناده قال: لم يزل أهل قبرص على صلح معاوية حتى ولي عبد الملك بن مروان فزاد عليهم ألف دينار، فجرى ذلك إلى خلافة عمر بن عبدالعزيز فحطها عنهم، ثم لما ولي هشام بن عبد الملك ردها، فجرى ذلك إلى خلافة أبي جعفر المنصور فقال: نحن أحق من أنصفتهم ولم نتأثر بظلمهم فردهم إلى صلح معاوية<sup>(١)</sup>.

فهذا أيضًا مثل من إنصاف أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في معاملة الذميين من أهل قبرص حيث وضع عنهم الزيادة التي رآها ظلمًا لهم، وقد تأسى به أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور في هذه العدالة رحمها الله تعالى.

### **إنصافه أحد المظلومين من اليمن:**

ذكر أبو الحسن علي بن محمد الماوردي أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله خرج ذات يوم إلى الصلاة فصادفه رجل ورد من اليمن

---

(١) فتوح البلدان / ٢١٠-٢١١، وقبرص جزيرة في البحر الأبيض المتوسط - معجم أماكن الفتوح / ٧٠ - .

متظلمًا فقال:

تَدْعون حيران مظلوما ببابكم فقد أتاك بعيد الدار مظلوم  
فقال ماظلامتك؟ فقال غصبني الوليد بن عبد الملك ضيعتي،  
فقال: يا مزاحم ائتني بدفتر الصوافي فوجد فيه: أصفى عبد الله  
الوليد بن عبد الملك ضيعة فلان، فقال: أخرجها من الدفتر وليكتمل  
برد ضيعة إليه ويطلق له ضعف نفقته<sup>(١)</sup>. وهكذا طمع في عدل أمير  
المؤمنين أبناء البلاد البعيدة، فجاء هذا الرجل من اليمن يطلب حقه  
الذي اغتصب منه، فأعاد إليه عمر أرضه وأعطاه ضعف نفقته التي  
صرفها في سفره، ليكون ذلك تعويضًا عما صرفه في قدومه وما  
سيصرفه في عودته، لأن من حقه أن تعود إليه أرضه المغتصبة وهو في  
بلده من غير أن يخسر شيئًا.

### سؤال عطاء عن أحوال عمر بن عبد العزيز:

أرسل عطاء بن رباح إلى فاطمة بنت عبد الملك يسألها عن  
أحوال عمر بعد موته فقالت: أفعل، إن عمر رحمة الله عليه كان قد

(١) الأحكام السلطانية/ ١٠٣.

فَرَّغَ للمسلمين نفسه، ولأمورهم ذهنه، فكان إذا أمسى مساءً لم يفرغ فيه من حوائج يومه وصل يومه بليته، إلى أن أمسى مساءً وقد فرغ من حوائج يومه، فدعا بسراجَه الذي كان من ماله، فصلى ركعتين ثم أقعَى واضعاً رأسه على يديه، تسيل دموعه على خديه، يشهق الشهقة يكاد ينصدع قلبه لها، وتخرج لها نفسه، حتى برق الصبح فأصبح صائماً، فدنوت منه فقلت: يا أمير المؤمنين أليس كان منك ما كان؟ قال: أجل فعليك بشأنك وخلّيني وشأني، قالت: فقلت: إني أرجو أن أتَّعِظَ، قال: إذا أخبرك، إني نظرت فوجدتني قد وليت أمر هذه الأمة أسودها وأحمرها، ثم ذكرت الفقير الجائع، والغريب الضائع، والأسير المقهور، وذا المال القليل والعيال الكثير، وأشباه ذلك في أقاصي البلاد وأطراف الأرض، فعلمت أن الله سألني عنهم، وأن رسول الله ﷺ حجيجي فيهم، فخفت أن لا يقبل الله تعالى مني معذرة فيهم، ولا تقوم لي مع رسول الله ﷺ حجة، فرحمت والله يا فاطمة نفسي رحمة دمعت لها عيني، ووجع لها قلبي، فأنا كلما ازددت لها ذكراً ازددت منها خوفاً، فاتَّعِظِي إن شئت أو ذري<sup>(١)</sup>.

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١٧٠، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن

الجوري / ١٦٠، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤٥ / ١٩٧.

وهذا تقدير بالغ من عمر رحمه الله للمسؤولية التي تحملها،  
حيث تذكر ضعفاء المسلمين وأصحاب الحاجات، على الرغم مما  
يبذله من جهد متواصل في التعرف على أحوال الأمة، ولكن لما كان  
هذا الأمر غير محصور خشي أن يكون قد بقي من المسلمين من لم تُرفع  
إليه حاجته، فيكون مسؤولاً عنه.

وفي تذكره للحساب والجنة والنار دليل على عمق إيمانه بالغيب  
حتى أصبح أمامه كالمشاهد، فأصبح ذلك دافعاً له إلى العدل والرحمة،  
والمبالغة في تفقد أحوال الأمة.

وفي بكائه الشديد دلالة على عظمة خوفه من الله عز وجل، وقد  
عصمه الله تعالى بهذا الخوف من الزلل، فارتفع بفكره وسلوكه عن  
المغريات، وقوي أمام جميع التحديات، فكلما عظم عليه خطب مجابهة  
الناس تذكر النار والحساب فهان عليه كل خطب عظيم، وصغر في  
نظره كل أمر جسيم.

### خبره مع الخوارج:

قال المؤرخ أبو الحسن محمد بن الأثير: في هذه السنة - يعني سنة

مائة- خرج شوذب- واسمه بسطام- من بني يشكر في جوفي، وكان في ثمانين رجلاً، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد عامله بالكوفة: أن لا يحركهم حتى يسفكوا دمًا ويفسدوا في الأرض، فإن فعلوا وجه إليهم رجلاً صليباً حازماً في جند، فبعث عبد الحميد محمد ابن جرير البجلي في ألفين، وأمره بما كتب به عمر.

وكتب عمر إلى بسطام يسأله عن مخرجه، فقدم كتاب عمر عليه وقد قدم عليه محمد بن جرير، فقام بإزائه لا يتحرك، فكان في كتاب عمر: بلغني أنك خرجت غضباً لله ولرسوله ولست أولى بذلك مني فهلم إلي أناظرك، فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس، وإن كان في يدك نظرنا في أمرك.

فكتب بسطام إلى عمر: قد أنصفت وقد بعثت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك، وأرسل إلى عمر مولى لبني شيبان حبشياً اسمه عاصم ورجلاً من بني يشكر، فقدموا على عمر بخنصرة فدخلا إليه فقال لهما: ما الذي أخرجكما هذا المخرج وما الذي نقمتم؟ فقال عاصم: ما نقمنا سيرتك، إنك لتتحري العدل والإحسان فأخبرنا عن

قيامك بهذا الأمر أعن رضى من الناس ومشورة أم ابتررتهم أمرهم؟  
فقال عمر: ما سألتهم الولاية عليهم ولا غلبتهم عليها، وعهد إلي  
رجل كان قبلي فقمتم ولم ينكره علي أحد ولم يكرهه غيركم، وأنتم  
ترون الرضى بكل من عدل وأنصف من كان من الناس، فاتركوني  
ذلك الرجل فإن خالفت الحق ورغبت عنه فلا طاعة لي عليكم.

فقالا: بيننا وبينك أمر واحد قال: ما هو؟ قالا: رأيناك خالفت  
أعمال أهل بيتك وسميتها مظالم، فإن كنت على هدى وهم على  
الضلالة فالعنهم وأبرأ منهم، فقال عمر. قد علمت أنكم لم تخرجوا  
طلبا للدنيا ولكنكم أردتهم الآخرة فأخطأتم طريقها إن الله عز وجل  
لم يبعث رسوله ﷺ لعانا، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّي نَدَّيْتُ  
أَصْلَابَكُمْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ  
رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وقال الله عز وجل: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ  
فِيهِدَهُمْ ائْتَدَتْهُ قُلُوبٌ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا ۖ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ  
لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقد سميت أعمالهم ظلما وكفى بذلك  
ذما ونقصا، وليس لعن الذنوب فريضة لا بد منها فإن قلت: إنها

فريضة فأخبرني متى لعنت فرعون؟ قال: ما أذكر متى لعنته قال:  
أفيسعك أن لا تلعن فرعون وهو أخبث الخلق وشرهم ولا يسعني أن  
لا ألعن أهل بيتي وهم مصلون صائمون؟

قال: أما هم كفار بظلمهم؟ قال: لا لأن رسول الله ﷺ دعا  
الناس إلى الإيمان فكان من أقرَّ به وبشرائه قبل منه فإن أحدث حدثاً  
أقيم عليه الحد، فقال الخارجي: إن رسول الله ﷺ دعا الناس إلى  
توحيد الله والإقرار بما نزل من عنده، قال عمر: فليس أحد منهم  
يقول: لا أعمل بسنة رسول الله ﷺ ولكن القوم أسرفوا على أنفسهم  
على علم منهم أنه محرم عليهم ولكن غلب عليهم الشقاء.

قال عاصم: فابراً مما خالف عملك ورد أحكامهم قال عمر:  
أخبرني عن أبي بكر، وعمر أليسا على حق؟ قالوا: بلى قال أتعلمان أن أبا  
بكر حين قاتل أهل الردة سفك دماءهم وسبى الذراري وأخذ  
الأموال؟ قالوا: بلى قال: أتعلمون أن عمر رد السبايا بعده إلى  
عشائريهم بفدية؟ قالوا: نعم قال: فهل برئ عمر من أبي بكر؟ قالوا: لا،  
قال: أفترؤون أنتم من واحد منهما؟ قالوا: لا.

قال: فأخبرني عن أهل النهروان<sup>(١)</sup> وهم أسلافكم هل تعلمان أن أهل الكوفة خرجوا فلم يسفكوا دما ولم يأخذوا مالا. وأن من خرج إليهم من أهل البصرة قتلوا عبد الله بن خباب وجاريتته وهي حامل؟ قالوا: نعم قال: فهل برئ من لم يقتل ممن قتل واستعرض؟ قالوا: لا، قال: أفتبرؤون أنتم من أحد من الطائفتين؟ قالوا: لا، قال: أفيسمعكم أن تتولوا أبا بكر وعمر وأهل البصرة وأهل الكوفة وقد علمتم اختلاف أعمالهم ولا يسعني إلا البراءة من أهل بيتي والدين واحد؟ فاتقوا الله فإنكم جهال تقبلون من الناس ما رد عليهم رسول الله ﷺ وتردون عليهم ما قبل، ويأمن عندكم من خاف عنده ويخاف عندكم من أمن عنده، فإنكم يخاف عندكم من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وكان من فعل ذلك عند رسول الله آمنا وحقن دمه وماله وأنتم تقتلون، ويأمن عندكم سائر أهل الأديان فتحرمون دماءهم وأموالهم.

فقال اليشكري: رأيت رجلا ولي قوماً وأموالهم فعدل فيها ثم صيرها بعده إلى رجل غير مأمون، أترأه أدى الحق الذي يلزمه الله عز

(١) النهروان بلاد تقع شرق بغداد عاصمة العراق - معجم البلدان ٥ / ٣٧٥ - .

وجل أو تراه قد سلم؟ قال عمر: لا قال: أفُتُسلم هذا الأمر إلى يزيد من بعدك وأنت تعرف أنه لا يقوم فيه بالحق؟ قال: إنما ولاء غيري والمسلمون أولى بما يكون منهم فيه بعدي، قال: أفترى ذلك من صنع من ولاء حقاً؟ فبكي عمر وقال: أنظراني ثلاثاً.

فخرج من عنده ثم عاد إلى فقام عاصم: أشهد أنك على حق فقال عمر للشكري: ما تقول أنت؟ قال: ما أحسن ما وصفت ولكن لا أفقات على المسلمين بأمر، أعرض عليهم ما قلت وأعلم ما حجتهم، فأما عاصم فأقام عند عمر فأمر له عمر بالعطاء فتوفي بعد خمسة عشر يوماً، فكان عمر بن عبد العزيز يقول: أهلكني أمر يزيد وخصمت فيه فأستغفر الله<sup>(١)</sup>.

في هذا الخبر تبين لنا بروز أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وتفوقه في مجالات عديدة، منها:

١- أنه التزم المنهج الإسلامي في معاملة المخالفين، فحينما خرج أولئك الخوارج في عهده لم يسلك معهم طريقة أكثر الولاية الذين

---

(١) الكامل في التاريخ ٤ / ١٥٥-١٥٦ وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم /

١٢٧-١٣١، وتاريخ الطبري ٦ / ٥٥٥.

سبقوه، حيث كانوا يعقدون الألوية لقتالهم من غير أن يدخلوا معهم في حوار علمي، بل أرسل إلى أميرهم وطلب منه أن يحضر لمناظرته، وأبدى استعدادة للرجوع عما هو عليه إذا تبين له أن الحق في غيره، وهذا التنزل مع الخوارج الذين يعدُّون من أعنف المخالفين، يدل على تجرده من هوى النفس، وأن هدفه الأعلى تطبيق الإسلام كما جاء من عند الله تعالى.

وإن ما قام به عمر بن عبدالعزيز من معاملة الخوارج بالحوار والمناظرة يعدُّ تجديدًا للمنهج الذي بدأه معهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - ومن دراسة المنهجين ينبغي أن يوضع قانون لمعاملة المتشددين الذين يرون أن الإصلاح لا يكون إلا بقوة السلاح. وإنه ينبغي أن يكون من مفردات هذا القانون أن يُعطى الثائرون حقهم الكامل في التعبير عن آرائهم، وأن لا تتعرض لهم الحكومات بالاعتقال والتشريد، وأن لا تمنعهم من التجمعات والتنقلات ماداموا لم يرفعوا السلاح ولم يخيفوا الآمنين.

٢- غزارة علمه بالكتاب والسنة والتاريخ، حيث دخل في حوار

مع قوم قد فرغوا أنفسهم لقضايا علمية محددة خالفوا فيها السواد الأعظم من المسلمين وتعمقوا فيها واستعدوا للجدل والمناظرة حولها، فأفحمهم وقطع حججهم واستطاع أن يؤثر على الرجلين اللذين أوفدوهما حتى اقتنعا برأيه في أغلب القضايا التي ناظره فيها.

٣- حينما ناقشه الخارجيان في ولاية يزيد بن عبد الملك وظهر له الحق في ذلك لم يكابر ولم يغير الحقائق، ولم يدافع عن الواقع الذي هو فيه وإن كان باطلا، بل ظهر منه ما يدل على اعترافه بأن ذلك الأمر باطل، وقوله "أهلكني أمر يزيد وخُصمت فيه فأستغفر الله" يدل على أنه كان يرى أن تصحيح ذلك الأمر سيوقع في فتنة كبيرة يترتب عليها سفك دماء المسلمين، وهو شديد الورع في ذلك.

وذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر الوليد بن مسلم قال، قال الأوزاعي لما استخلف عمر بن عبد العزيز كتب إليه رجل من الشراة<sup>(١)</sup> يقال له عمرو بأبيات:

قل للموئى على الإسلام مؤتلفا وقد يرى أنه رث القوى واهي

(١) يعني من الخوارج.

إذ رابـه معشر عدوه مأكلة      بنخوة الملك والإسراف والباه  
إنـا شرينا بدين الله أنفسنا      نبغي بـذاك إليه أعظم الجاه  
ينهى الولاية بحد السيف عن سرف      كفى بـذاك لهم من زاجر ناھي  
وإن قصدت سبيل الحق يا عمرا      أخـاك فيالله أمثالي وأشباهي  
وإن لحقت بقوم كنت واعظهم      في جور سيرتهم فالحكم لله  
قال فأجابه عمر بن عبد العزيز:

يا أيها الرجل المهدي نصيحتـه      إن المحاسن والتوفيق بالله  
إن كان أمر من السلطان تنكره      فما عرى الدين والإسلام بالواھي  
هذا الكتاب كتاب الله نقرؤه      مصدق الوحي فينا أمر ناھي  
فقد يزُلُّ الذي يبغي الهدى رهقاً      عن الشريعة وهو العالم الناھي  
الملك يا عمرو ملك الله خالقنا      والحكم يا عمرو مردود إلى الله  
قال فأتاه فبايعه ولم يخرج عليه<sup>(١)</sup>.

وهذا الخبر يدل على تفوق أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في  
إنشاء الشعر حيث ردَّ بهذه الأبيات الشعرية على البديهة، وهي أبيات

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٩٧

رصينة في مبنائها ومعناها.

\* \* \*

## جهوده في الدعوة والإصلاح

### من توجيهاته في آداب الصحبة:

إن من مواقف عمر بن عبد العزيز رحمه الله، القيام بتوجيه أفراد الأمة نحو السلوك القويم، ومن نماذج ذلك ما جاء في رواية لابن عبدالحكم قال: ولما ولي عمر بن عبد العزيز قام الناس بين يديه، فقال: يا معشر المسلمين إن تقوموا نُقم وإن تقعدوا نقعد، فإنما يقوم الناس لرب العالمين، إن الله فرض فرائض وسن سنناً، من أخذ بها لحق، ومن تركها محق، ومن أراد أن يصحبنا فليصحبنا بخمس، يوصل إلينا حاجة من لا تصل إلينا حاجته، ويدلنا من العدل إلى ما لا نهتدي إليه، ويكون عوناً لنا على الحق، ويؤدي الأمانة إلينا وإلى الناس، ولا يغتب عندنا أحداً، ومن لم يفعل فهو في حرج من صحبتنا والدخول علينا<sup>(١)</sup>.

ففي هذا الخبر مثل من تواضع عمر ورغبته الأكيدة في القضاء

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٤١ وانظر البداية والنهاية ٩ / ٢٠٦، وسيرة

عمر بن عبد العزيز لابن الجوري / ٥٢، وتاريخ دمشق ٤٥ / ١٦٩.

على العادات الموروثة التي أشبه بها الولاة آنذاك الأكاسرة والقيصرة..وعزّم صارم على العودة بالأمة إلى منهج الخلفاء الراشدين.

وعمر بهذا يحجم دافعين قويين يدفعانه إلى مجارة عشيرته في مظاهرهم.. أولهما طموح النفس نحو الظهور وفرض السلطة والهيبة في قلوب الناس، وثانيهما: رغبة عشيرته الملحة في الإبقاء على هذه المظاهر، وتشنيعهم عليه في مخالفة ما كان عليه أسلافه.

ولكنه تغلب على هذين الدافعين بحزم وإيمان قوي، وكان الدافع الذي يدفعه إلى التواضع ورفض المظاهر الدنيوية هو خوفه من الله تعالى ورغبته فيما عنده، وطموح فكره نحو الآخرة وتجاوز المستقبل الدنيوي، وكان هذا الدافع عنده أقوى بكثير من الجواذب الأرضية، فنجح في إجمام نفسه عن هواها، وإسكات أصحاب المظاهر الخادعة، وتصحيح مفاهيم المجتمع فيما يجب أن يكون عليه الولاة والعلاقة بينهم وبين الرعية.

وفي قوله «إن الله فرض فرائض» بيان لأسباب السعادة الحقيقية

في الدنيا والآخرة، فمن طبقها لحق بركب المتقين في الدنيا، وأكرم به من رفقة سالحة، وظفر يوم القيامة برضوان الله تعالى والجنة، وأكرم به مآلاً وعاقبة.

ثم رسم منهجه الذي يريده ممن يريد صحبته في مجالسه حيث حدد لهم الخصال الخمس التي يريدها منهم، وكأنه يقول لهم إن عهد النفعين الذين يصحبون السلطان لتيسير مصالحهم ومصالح عشائهم قد انتهى، فمن كان يريد صحبة الأمير فليصحبه للنظر في حوائج المسلمين العامة، والنظر في رفع مستوى الأمة في مجالات الخير، وتقريب الصلة بينها وبين ولائها، وذلك بإيصال حاجة من لا يستطيع الوصول بنفسه، وكم في الأمة من أمثال هؤلاء الذين يموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره لا يستطيع أن يجاوزها محيط أسرته، والذين يقومون بذلك هم من رواد الإصلاح في المجالين: مجال المسؤولين: حيث يعينونهم على أداء مسؤوليتهم في أمور قد لا تصل إليهم وهم مسؤولون عنها، وفي مجال أولئك المغمورين الذين قد لا يصلون إلى قضاء حوائجهم إلا بمثل هؤلاء المصلحين.

إن الذين يبذلون جاههم لوجه الله تعالى قليل، وإذا فعلوا ذلك فربما بدؤوا وساطة الخير ثم قد لا يكملونها، وكأنها أرادوا مجاملة صاحب القضية ورأوا أن ما قاموا به يكفي في ذلك، ولكنهم في الحقيقة لم يصنعوا له شيئاً إذا لم يساعده على نجاح قضيته، أما الذين يريدون وجه الله تعالى فإن الذي يهتمهم هو النظر في إسعاد إخوانهم المسلمين والسعي في إنهاء قضاياهم ليحصلوا على ثواب الله العظيم الذي بذلوا جاههم من أجله.

وفي الخصلة الثانية يوصى عمر من أراد صحبته أن يدلّه من العدل إلى ما لا يهتدي إليه، وهي رغبة صادقة من عمر رحمه الله في الوصول إلى كمال العدل، فعلى الرغم من اجتهاده في ذلك فإنه يدرك أن الحاكم قد تخفى عليه بعض جوانب العدل، فإذا كان أصحابه من المهتمين بهذا الجانب، وقد أدركوا رغبته في ذلك فإن أفكارهم تنفتق على جوانب من العدل قد لا تخطر ببال ذلك الوالي وإن كان عظيم الاهتمام بالعدل لأنه لا يملك إلا فكراً واحداً، لكنه حينما يجنّد من حوله لخدمة هذه القضية التي وقف عليها حياته فإنه سيحصل على

نتاج أفكار كثيرة، تهدي إليه من درر النصائح مما لا يخطر له على بال. وهكذا كانت عظمة العظماء من الأمراء والقادة الذين رفعوا في حياتهم قضية كبرى، ووجهوا كل اهتماماتهم واهتمام من حولهم نحو هذه القضية، فإنهم ينجحون في قضيتهم غالبًا، سواء أكانت من قضايا الدنيا البحتة أم من قضايا الدنيا والآخرة، بسبب مشورة الناصحين الذين يجندون عقولهم لخدمة تلك القضية. وفي الخصلة الثانية يقول «ويكون لنا عونًا على الحق» وعمّر بهذا يفتح المجال واسعًا أمام رواد الإصلاح الذين يرون الحق واضحًا ويتمنون أن تكون لهم قدرة على تنفيذه، فقد فتح الباب أمامهم في عهد عمر من أعلى سلطة في البلاد، ولا شك أن من لديه أي منهج للإصلاح وتنفيذ الحق سيسارع إلى تلبية هذا النداء، مستفيدًا من ذلك التعاون المتبادل بين الراعي والرعية.

ثم يقول «ويؤدي الأمانة إلينا وإلى الناس»، فأداء الأمانة دليل على قوة الإيمان وطهارة النفس من الأنانية وحب الدنيا، وعلى طموحها إلى ابتغاء رضوان الله تعالى والسعادة الأخروية، وذكر أداء

الأمانة إلى الناس لبيان أصالة الأمانة واشتغال صاحبها على الإخلاص، لأن من يؤدي الأمانة لأصحاب السلطة ولا يؤديها لعامة الناس، قد يفعل ذلك خوفاً من صاحب السلطة ومراعاة له، لكن حينما يكون أميناً مع عموم الناس فإن هذا يدل على إخلاصه لله تعالى. ثم قال «ولا يغتب عندنا أحداً» وهذه الخصلة من الخصال التي أوصى بها العباس ابنه عبد الله رضى الله عنهما في مجالسته لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى تظل ثقته به قائمة.

وذلك أن من تكلم في الآخرين عند المسؤولين فهو رجل وصولي، يحاول الوصول إلى كسب ثقة المسؤول على حساب تجريجه لأعراض إخوانه المسلمين، وهؤلاء الذين يغتابون الناس عند المسؤولين هم من النوع الذي يستهويه المجد الدنيوي ويريد الوصول إليه بدون تضحية ولا نصب، فيستبيحون أعراض إخوانهم ويستخدمونها في طريق سهل للوصول، ويجدون أحياناً آذاناً صاغية ورغبة في الاستزادة فلا يباليون بالتسلق على جثث إخوانهم للوصول إلى أهدافهم الدنيوية.

ولقد كان اختيار أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز موفقاً في هذه الشروط التي اشترط توافرها فيمن يريد صحبته، وختمها بهذا الشرط دليل على فقهه الاجتماعي، وإدراكه العميق لما للغيبة من آثار سيئة، خاصة في العلاقة بين الحاكم والمحكومين وهو المجال الذي اهتم به عمر وحدد هذه الشروط من أجله.

### من تذكيره بالأخرة:

إن من مواقف أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله في الدعوة قوله في خطبة له: إني لم أجمعكم لأمر أحدثته، ولكنني نظرت في أمر معادكم وما أنتم إليه صائرون فوجدت المصدق به أحق، والمكذب به هالكاً. ثم نزل<sup>(١)</sup>.

وهذه خطبة بليغة على قصرها، فإنها تذكروا حية بمصير الإنسان بعد الموت، فالذي يؤمن بالبعث بعد الموت وما قبله من عذاب القبر ونعيمه وما بعد ذلك من الحساب والمصير إلى النعيم الدائم أو إلى الشقاء الدائم، ثم لا يُعدُّ العدة الكافية لذلك اليوم يعدُّ حقاً أحق،

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم/ ٤٢.

حيث لم يستعمل عقله في الإعداد لمستقبله بعد الموت مع إيمانه بما سيكون فيه.

أما المكذب به فهو هالك لأن من كذب بالبعث فهو كافر مخلد في النار يوم القيامة.

### من جهوده في تصحيح المفاهيم الخاطئة:

إن من مظاهر العظمة في حياة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه جمع بين السياسة الواعية العادلة والعلم والدعوة، فمن مواقفه في الدعوة قوله في إحدى خطبه: أما بعد أيها الناس فلا يطولنَّ عليكم الأمد، ولا يبعدن عليكم يوم القيامة، فإن من وافته منيته فقد قامت قيامته، لا يستعقب من سئ ولا يزيد في حسن، ألا لا سلامة لامرئ في خلاف السنة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله، ألا وإنكم تعدُّون الهارب من ظلم إمامه عاصياً، ألا وأن أولاهما بالمعصية الإمام الظالم، ألا وإني أعالج أمرًا لا يعين عليه إلا الله، قد فني عليه الكبير، وكبر عليه الصغير، وفصح عليه الأعجمي، وهاجر عليه الأعرابي، حتى حسبوه ديناً لا يرون الحق غيره، ثم قال: إنه لحبيب عليّ أن أوفر

أموالكم وأعراضكم إلا بحقها ولا قوة إلا بالله<sup>(١)</sup>.

ففي هذه الخطبة يُذكر عمر بن عبد العزيز المسلمين بقرب يوم القيامة، فإن من وافته منيته فقد قامت قيامته، فليُنظر إلى الموت الذي قد يفاجئه في أية لحظة، وحينها لا يستطيع أن يعتذر من أعماله السيئة التي سوّدها صحيفته، ولا يستطيع أن يستزيد من عمل صالح يببّض به صحيفته، ويندم حينها لا ينفع الندم على مافاتة في حياته يوم أن كان قادرًا على التوبة النصوح والتزود بالعمل الصالح.

ثم يبين أن السلامة كل السلامة في اتباع سنة رسول الله ﷺ، وهذا بيان لأحد عنصري العمل الصالح، وهما الإخلاص لله تعالى ومتابعة السنة، وهو بهذا يعالج واقعًا لا ينقص العمل فيه الإخلاص وإنما ينقصه اتباع السنة، حيث فشت البدع بعد انقراض عهد الصحابة رضي الله عنهم، وفساد بعض الولاة الذين يجاربون بعض السنن التي لا تتفق مع أهوائهم.

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم/٤٣.

ثم يبين أحد العواصم التي تعصم من انتشار البدع وفساد أمور الأمة حيث يقول «ولا طاعة لمخلوق في معصية الله» فإذا كان بعض الولاة قد تسوّل لهم نفوسهم الأمارة بالسوء أو مجاملة الآخرين بأن يأمرُوا الناس بمعصية الله تعالى، أو يمهّدوا السبيل لذلك فإنه لا طاعة لهم، وبهذا ينقطع سبب مهم من أسباب سريان تلك المخالفات وهو ما لولاة الأمر من طاعة على الأمة، فإذا تحددت هذه الطاعة بطاعة الله تعالى لم يكن لهوى النفوس تأثير على انتشار الفساد في المجتمع وتصبح الكلمة لأهل الإصلاح. ثم يبين أن ما جرى عليه العرف من اعتبار الهارب من إمامه الظالم عاصياً ليس له اعتبار في النظر الشرعي، لأن تصرفه هذا هو أحد الأسباب التي يتخذها للخلاص من الظلم، وأولى من يوصف بالمعصية من وقع منه الظلم.

وكون عمر يبين هذا وهو في أعلى موقع من المسؤولية، دليل على تحرّره من حظ النفس ومن العصبية للقرابة وإخلاصه لله تعالى. ثم يصف الواقع الاجتماعي الذي اختلطت فيه العادات بالدين، والبدع بالسنن، ونشأ عليه أفراد المجتمع، وتربّى على توجيهه من أسلم من

العجم، ومن هاجر من الأعراب حتى حسبوه هو الدين، وحينما يختلط العرف الاجتماعي فيتسرب إلى العرف الإسلامي بعض الأعراف الجاهلية فإن ذلك يؤثر على تربية أفراد المجتمع، وتتشربه قلوبهم لأن الأعراف الجاهلية تميل إلى تلبية أهواء النفوس وإن كانت منحرفة جائرة، فيصعب بعد ذلك على المصلحين أن يخلصوا العرف الاجتماعي الإسلامي من تلك الأخلاط المتسربة المتراكمة على مر الزمن، لأن كل انحراف له أنصاره ومؤيدوه، وليس كل أفراد المجتمع يفهمون الأمور على حقيقتها، وحينما يقوم المصلحون بمحاولة التنقية يقوم دعاة السوء بتشويه إصلاحهم ودعوة الناس إلى البقاء على الموروثات، لأن كونها موروثات يعطيها في نظر بعض الناس شيئاً من القداسة، ولكن حينما ينبع الإصلاح من أعلى قمة في المسؤولية كما هو الحال في عهد عمر بن عبد العزيز فإن نتائج الإصلاح تكون كبيرة وسريعة المفعول، لأن معه ما خوله الله تعالى من طاعة الرعية ما دام في طاعة الله تعالى إلى جانب قوة السلطان المعهودة.

## إنكاره العصبية القبلية:

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الضحاك بن عبد الرحمن، وكان مما جاء في كتابه: إن ما هاجني على كتابي هذا أمر ذكر لي عن رجال من أهل البادية، ورجال أمروا حديثاً، ظاهر جفاؤهم، قليل علمهم بأمر الله اغتروا فيه بالله غرة عظيمة، ونسوا فيه بلاءه نسياناً عظيماً، وغيروا فيه نعمه تغييراً لم يكن يصلح لهم أن يبلغوه، وذكُر لي أن رجالا من أولئك يتحاربون إلى مُضَر وإلى اليمن، يزعمون أن لهم ولاية على من سواهم، وسبحان الله وبحمده ما أبعدهم من شكر نعمة الله، وأقربهم من كل مهلكة ومذلة وصُغُر، قاتلهم الله أية منزلة نزلوا، ومن أي أمان خرجوا، أو بأي أمر لصقوا، ولكن قد عرفت أن الشقي بنيته يشقى، وأن النار لم تخلق باطلاً. أو لم يسمعوا إلى قول الله في كتابه ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ<sup>٤</sup> وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقوله: ﴿ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ<sup>٥</sup> الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا<sup>٦</sup> فَمَنْ أُضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ<sup>٧</sup>

فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ [المائدة: ٣]، وقد ذكر لي مع ذلك أن رجالاً يتداعون إلى الحلف، وقد نهى رسول الله ﷺ عن الحلف وقال لا حلف في الإسلام قال: وما كان من حلف في الجاهلية فلم يزد الإسلام إلا شدة، فكان يرجو أحد من الفريقين حفظ حلفه الفاجر الآثم الذي فيه معصية الله ومعصية رسوله، وقد ترك الإسلام حين انخلع منه وأنا أحذر كل من سمع كتابي هذا ومن بلغه أن يتخذ غير الإسلام حصناً، أو دون الله ودون رسوله ودون المؤمنين وليجة، تحذيراً بعد تحذير، وأذكرهم تذكيراً بعد التذكير وأشهد عليهم الذي هو آخذ بناصية كل دابة، والذي هو أقرب إلى كل عبد من جبل الوريد، وإني لم آلكم بالذي كتبت به إليكم نصحاً، مع أي لو أعلم أن أحداً من الناس يحرك شيئاً ليؤخذ له به. أو ليدفع عنه، أحرص - والله المستعان - على مذلتة من كان: رجلاً أو عشيرة أو قبيلة أو أكثر من ذلك، فادعُ إلى نصيحتي وما تقدمت إليكم به، فإنه هو الرشد ليس له خفاء، ثم ليكن أهل البر وأهل الإيمان عوناً بألسنتهم، وإن كثيراً من الناس لا يعلمون. نسأل الله أن يخلف فيما بيننا بخير خلافة في ديننا

وألفتنا وذات بيننا والسلام<sup>(١)</sup>.

في هذا الكتاب يعالج أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز انحرافاً خطيراً طرأ على المجتمع الإسلامي آنذاك، وهو أن طائفة من المسلمين الذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم، ولم تعمر أفكارهم بالعلم الشرعي، قد اتخذوا لأنفسهم علاقات من روابط الجاهلية التي تقوم على القبائل والعشائر، فيعطي الواحد منهم ولاءه لقبيلته سواء بالحق أو بالباطل وسواء بالعدل أو بالظلم، ويجعل من قبيلته قضية يهتم لها ويدافع عنها ويدعو لها، وقد أغفلوا بذلك الرابطة الإسلامية التي شرف الله تعالى العرب بها، حتى أصبحوا بها إخوة في الله متحابين بعد أن كانوا أعداء متحاربين، وسادوا بجماعتهم العالم. وقد استفحلت هذه القضية حتى أصبح بعض المجاهدين الذين خرجوا من بلاد العرب للجهاد في سبيل الله تعالى يتحاربون بينهم بدعوى قبلية، مما سبب تأخراً في تقدم الجهاد، وجرأ أصحاب البلاد المفتوحة على الانتقاص على المسلمين مرة بعد مرة، ووصلت الحال في بعض البلاد

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١٠٣-١٠٦.

إلى أنه كلما تولى رجل له قبيلة في تلك البلاد قرب أفراد قبيلته وقواهم وتقوى بهم، فتحدث الفتنة وتثور القبائل الأخرى، وما ذاك إلا بسبب طرح رابطة الإسلام التي هي نعمة كبرى على المسلمين، واتخاذ الروابط الجاهلية بديلاً عنها.

### اهتمامه بشكر النعمة:

لقد تفوق عمر بن عبد العزيز بالعلم، والاهتمام بالدعوة، فمن ذلك أن عدى بن أرطاة واليه على البصرة كتب إليه يقول: لقد أصاب الناس من الخير خيراً حتى خشيت أن يبطروا، قال: فكتب إليه عمر: إن الله تبارك وتعالى حين أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار رضي من أهل الجنة بأن قالوا: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَدَّهُ وَأَوْثَقَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴾ [الزمر: ٧٤]، فمر من قبلك أن يحمداوا الله<sup>(١)</sup>.

وهذا يعدُّ إدراكاً عالياً من عمر رحمه الله لشكر نعمة الله تعالى، وهو مثل من فهمه العالي لتوحيد الله جل وعلا، فإن النعمة مهما

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم/ ٦٩.

كثرت فإنه لا ضرر منها على توحيد المسلم ما دام حامداً لله تعالى،  
شاكراً لأنعمه، بل إن زيادة النعمة تقتضي زيادة الحمد والشكر فيزداد  
العبد التقي إيماناً وعملاً صالحاً.

واستشهد عمر رحمه الله بقول أهل الجنة: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ  
الَّذِي صَدَقَنَا وَعَدَّهُ وَأَوْثَقَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ  
أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴾ وقد وفق في ذلك، فليكن المسلم في الدنيا على سنن  
أهل الجنة في الحمد والشكر، حيث إن الله تعالى سيوفق أهل الجنة إلى  
أعلى المقامات.

#### اهتمامه بتعليم أهل البادية:

اهتم عمر بن عبد العزيز بدعوة أهل البادية إلى الإسلام  
وتعليمهم، ومن أمثلة اهتمامه بهذا الجانب إرساله يزيد بن أبي مالك  
والحارث بن محمد إلى البادية ليعلموا الناس السنة، وأجرى عليهما  
الرزق، فقبل يزيد ولم يقبل الحارث وقال: ما كنت لأخذ على علم  
علمنيه الله أجراً، يذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال: ما نعلم بما

صنع يزيد باسا، وأكثر الله فينا مثل الحارث<sup>(١)</sup>. وهذا دليل على فقه  
عمر حيث أقر يزيد بن أبي مالك على أخذ المساعدة المادية، لأنها في  
مقابل تفرغه لتعليم العلم حتى لا يكون مضطراً إلى العمل في طلب  
الرزق فيشغله ذلك عن التعليم، وحيث أثنى على الحارث بن محمد  
على ورعه وطلبه الكمال في دينه.

وإن موقف الحارث هذا يعدُّ مثلاً جيداً من أمثلة الورع وشكر  
النعمة حيث اعترف بنعمة الله عليه بالعلم وعرف أن من شكر ذلك  
أن يهب علمه لمن شاء بلا أجر ولا مكافأة من الدولة.

#### **اهتمامه بالدعوة إلى الإسلام:**

إضافة إلى ما تقدم ذكره من أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز  
قد وضع الجزية عمن أسلم وما كان لذلك من أثر من دخول الكفار  
في الإسلام، فإنه قد كتب إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الإسلام، ومن  
ذلك ما ذكره المؤرخ ابن الأثير في حوادث سنة مائة للهجرة حيث قال  
وفيها كتب عمر بن عبد العزيز إلى ملوك السند يدعوهم إلى الإسلام

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز/ ١٦٠ لابن عد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن  
الجوزي/ ٦٠.

على أن يملكهم بلادهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين -  
وقد كانت سيرته بلغتهم - فأسلم جيسيه بن داهر<sup>(١)</sup>.

وما جاء في هذه الرواية من ذكر ملوك السند المقصود بهم من لم  
يدخلوا في الإسلام قبل ذلك، والمعروف في فتوح السند أن ملوك  
السند قد دخلوا في الإسلام ما عدا جيسيه بن داهر الذي فر إلى  
كشمير، فلعل صواب الرواية أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى ملوك  
السند والهند.

وقد جاء في خبر ذكره ابن تغري بردي ما يؤيد ذلك حيث قال  
ابن عساكر: كتب ملك الهند إلى عمر بن عبد العزيز: من ملك الهند  
والسند ملك الأملاك، الذي هو ابن ألف ملك وتحتة ابنة ألف ملك،  
والذي في مملكته نهران ينبتان العود والكافور والأكرة التي يوجد  
ريحها من اثني عشر فرسخا، والذي مربوطه ألف فيل وتحت يده ألف  
ملك.. إلى ملك العرب:

أما بعد: فإن الله قد هداني إلى الإسلام فابعث إلي رجلا يعلمني

---

(١) الكامل في التاريخ ٤/١٦٠، والسند هي المنطقة التي تعرف الآن باسم دولة باكستان  
والجزء الشمالي الغربي من الهند - معجم أماكن الفتوح / ٦١ - .

الإسلام والقرآن وشرائع الإسلام، وقد أهديت لك هدية من المسك والعنبر والند والكافور فاقبلها، فإنما أنا أخوك في الإسلام، والسلام<sup>(١)</sup>. ومن أخبار انتشار الإسلام بين الكفار في عهد عمر بن عبد العزيز بسبب دعوته، ما ذكره البلاذري في أخبار فتح المغرب والأندلس قال: ثم لما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله ولي المغرب إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم، فسار أحسن سيرة، ودعا البربر إلى الإسلام، وكتب إليهم عمر بن عبد العزيز كتباً يدعوهم بعدُ إلى ذلك، فقرأها إسماعيل عليهم في النواحي فغلب الإسلام على المغرب<sup>(٢)</sup>.

وهكذا استثمر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الفتوح الإسلامية التي سبقته للدعوة إلى الإسلام، فإن دخول الناس في الإسلام هو الهدف من تلك الفتوحات، ولقد كان تجرُّ بعض الولاة السابقين وظلمهم من أسباب تعويق انتشار الإسلام، لأن الجهاد ما

(١) النجوم الزاهرة ١ / ٢٤٠.

(٢) فتوح البلدان / ٣٢٤.

هو إلا فتح طرق لنشر الإسلام، وذلك بإزالة الحكومات الطاغية التي تحول بين شعوبها والتعرف على الإسلام، فإذا فتح الطريق وزالت العوائق فإن الأمم تنجذب إلى الإسلام بقدر ما ترى من أخلاق أمة الإسلام وعدالة حاكميها، ولقد كان عمر بن عبد العزيز في قمة الأخلاق والعدالة، واختار ولاية اجتهد في انتقائهم ليمثلوا الإسلام ويدعوا الناس إليه بأقوالهم وأفعالهم، فكان لذلك نتائج طيبة في إقبال الناس على الدخول في الإسلام.

#### **اهتمامه بإصلاح المجتمع:**

لم يقتصر اهتمام عمر بن عبد العزيز على الدعوة، بل كان اهتمامه كبيراً بإصلاح المجتمع والأمر بإزالة ما يتفشى فيه من المنكرات، وقد كتب في ذلك إلى أحد ولاته كتاباً طويلاً بليغاً، نورد بعض فقراته لأهميته وعظيم فائدته، وفيه يقول: أما بعد فإنه لم يظهر المنكر في قوم قط ثم لم ينههم أهل الصلاح منهم إلا أصابهم الله بعذاب من عنده أو بأيدي من يشاء من عباده، ولا يزال الناس معصومين من العقوبات والنقمات ما قمع فيهم أهل الباطل، واستخفي فيهم بالمحارم، فلا

يظهر من أحد منهم محرم إلا انتقموا ممن فعله، فإذا ظهرت فيهم المحارم فلم ينههم أهل الصلاح نزلت العقوبات من السماء إلى الأرض على أهل المعاصي والمداهنين لهم، ولعل أهل الإدهان أن يهلكوا معهم وإن كانوا مخالفين لهم، فإني لم أسمع الله تبارك وتعالى فيما نزل من كتابه عند مثله أهلك بها أحداً نجى أحداً من أولئك، إلا أن يكونوا الناهين عن المنكر، ويسلط الله على أهل تلك المحارم إن هو لم يصبهم من عنده أو بأيدي من يشاء من عباده من الخوف والذل والنقم، فإنه ربما انتقم بالفاجر من الفاجر وبالظالم من الظالم، ثم صار كلا الفريقين بأعمالهما إلى النار، فنعوذ بالله أن يجعلنا ظالمين، أو أن يجعلنا مداهنين للظالمين.

وإنه قد بلغني أنه قد كثر الفجور فيكم وأمن الفساق في مدائنكم وجاهروا من المحارم بأمر لا يجب الله تعالى من فعله، ولا يرضى المداهنة فيه، كان لا يظهر مثله علانية قوم يرجون الله وقاراً، ويخافون منه غيراً، وهم الأعززون الأكثرون من أهل الفجور، وليس بذلك مضي أمر سلفكم، ولا بذلك تمت نعمة الله تعالى عليهم، بل

كانوا كما قال الله تعالى: ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح: ٢٩) ﴿ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ (المائدة: ٥٤) ولعمري إن من الجهاد في سبيل الله الغلظة على أهل محارم الله تعالى بالأيدي والألسن والمجاهدة لهم فيه، وإن كانوا الآباء والأبناء والعشائر، وإنما سبيل الله طاعته.

ولقد بلغني أنه بطاً بكثير من الناس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اتقاء التلاوم أن يقال: فلان حسن الخلق قليل التكلف، مقبل على نفسه، وما يجعل الله أولئك أحاسنكم أخلاقاً، بل أولئك أسوأكم أخلاقاً، وما أقبل على نفسه من كان كذلك، بل أدبر عنها، ولا سلم من الكلفة لها بل وقع فيها، إذ رضي لنفسه من الحال غير ما أمر الله أن يكون عليه بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(١)</sup>.

ففي هذا الكتاب المهم يبين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى سنة الله جل وعلا التي لا تتخلف، وهي أن أيّ مجتمع يجاهر فيه أهل الفساد بمعاصيهم، ثم لا ينهاهم أهل الصلاح ولا ينكرون عليهم

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١٦٠.

فلا بد أن يصيبهم الله تعالى بإحدى ثلاث: أن يصيبهم الله بعذاب من عنده، أو أن يصيبهم بعذاب على أيدي من يشاء من عباده، وقد يكون هؤلاء من الظلمة الجبارين فينتقم الله بهم من العصاة الفجار، أو يصيبهم الله بالخوف وأنواع النقم والمصائب.

ويبين عمر في هذا الكتاب أن السكوت عن أهل المعاصي المجاهرين ليس من عمل الصحابة رضي الله عنهم ، بل قد وصفهم الله تعالى بالشدة والغلظة على المخالفين المجاهرين بالمعاصي.

ويذكر أن من الجهاد في سبيل الله تعالى الغلظة على منتهكي محارم الله والإنكار عليهم بالأيدي والألسن وإن كانوا من أقرب الأقارب، وهذا التوسع في معنى الجهاد له أدلته الشرعية، مثل قول الله جل وعلا: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحریم: ٩] وإنما يكون جهاد المنافقين بالإنكار عليهم والشدة في معاملتهم، ومثل ما جاء في قول

رسول الله ﷺ «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألستكم»<sup>(١)</sup>.  
ويصحح عمر في هذا الكتاب مفهوماً خاطئاً عند بعض الناس،  
وهو وصفهم القاعد عن إنكار المنكر بأنه حسن الخلق قليل التكلف  
مقبل على نفسه، حيث يبين أن هذا سيء الخلق، حيث تعامل مع  
المخالفين بالسلبية وعدم المبالاة مع أنهم بحاجة إلى الشفقة والرحمة،  
وإنما يظهر ذلك بمحاولة إصلاحهم، ويردُّ على قولهم بأنه قليل  
التكلف مقبل على نفسه، بأنه لم يقبل على نفسه بمحاولة إنقاذها من  
النار ورفع درجاتها في الجنة، بل أقبل على هلكتها، حيث إن السكوت  
عن الإنكار معصية يحاسب عليها مرتكبها وقد تورده إلى النار، وإذا  
كان في مفهوم الناس أن الساكت قليل التكلف فإنه قد تكلف أمراً  
عظيماً حيث أمر الله تعالى ورسوله ﷺ بما وجب عليه من الأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكانت كتب عمر بن عبد العزيز كلها في إصلاح المجتمع كما

---

(١) ذكره التبريزي في مشكاة المصابيح من رواية أبي داود والنسائي والدرامي، وصححه

الألباني - ٢/ ٣٥٥ رقم ٣٨٢١ - .

جاء في خبر إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: ما كان يقدم على أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كتاب من عمر إلا فيه رد مظلمة أو إحياء سنة أو إطفاء بدعة أو قسّم أو تقدير عطاء أو خير، حتى خرج من الدنيا<sup>(١)</sup>.

وهذا يبين ضخامة المجهود الإصلاحى الذى قام به أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى.

ويبين رحمه الله شدة اهتمامه بالإصلاح وحماسه له بقوله: فلو كان كل بدعة يميّتها الله تعالى على يدي، وكل سنة ينعشها الله سبحانه على يدي، ببضعة من لحمي حتى يأتي آخر ذلك على نفسي كان في الله يسيرا<sup>(٢)</sup>.

### إباحته المراعى العامة للأمة:

أخرج ابن سعد من خبر إسماعيل بن أبي حكيم: أن عمر بن عبد العزيز لما استخلف أباح الأحماء كلها إلا النقيع<sup>(٣)</sup>.

(١) طبقات ابن سعد ٥/٣٤٢.

(٢) المرجع السابق ٥/٣٤٣.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/٣٤٥.

وأخرج أيضًا من خبر عبد الرحمن بن حسن عن أبيه أن عمر بن عبد العزيز كتب: فما حُمي من الأرض أن لا يُمنع أحد مواقع القطر، فأبج الأحماء ثم أبحها<sup>(١)</sup>.

والحمى هو جزء من أرض المراعي يُحمى لشخص أو قبيلة أو أي جهة أخرى، وقد كان الحمى في عهد الخلفاء الراشدين لمصالح الأمة العامة كمواشي الصدقة، ثم توسع الناس بعد ذلك في الحمى فصار بعض الأحماء لمصالح خاصة، فلما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز أبطل الأحماء الخاصة ولم يبق إلا ما فيه مصلحة للأمة عامة، وهذا من إصلاحاته الكبيرة حيث أتاح الفرصة لأفراد الأمة للاستفادة من المراعي العامة.

### توجيهه إلى الإمساك عما جرى بين الصحابة:

من إصلاحاته الفكرية أنه نهى الناس عن الخوض في الخلاف الذي جرى بين الصحابة رضي الله عنهم، كما أخرج ذلك محمد بن سعد من خبر محمد بن النضر قال: ذكروا اختلاف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عند عمر بن

(١) المرجع السابق ٣٨١/٥.

عبد العزيز فقال: أمرٌ أخرج الله أيديكم منه ما تُعملون ألسنتكم فيه؟! (١).

وهذا الذي وجّه إليه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز هو الذي اعتمده أهل السنة والجماعة، من عدم الخوض فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم من القتال، والكف عن الحديث في ذلك.

### إبطاله نقد عليّ على المنابر:

ذكر المؤرخ ابن الأثير أن عمر بن عبد العزيز قال: وكان أبي إذا خطب فتال من عليّ رضي الله عنه تلجلج فقلت: يا أبت إنك تمضي في خطبتك فإذا أتيت علي ذكر علي عرفت منك تقصيراً، قال: أوفطنت لذلك؟ قلت: نعم، فقال: يا بني إن الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم تفرقوا عنا إلى أولاده.

قال: فلما ولي الخلافة لم يكن عنده من الرغبة في الدنيا ما يرتكب هذا الأمر العظيم من أجله فترك ذلك، وكتب بتركه وقرأ عوضه:

(١) طبقات ابن سعد ٥/٣٨٢.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [النحل: ٩٠]

فحل هذا الفعل عند الناس محلا حسنا وأكثروا مدحه بسببه<sup>(١)</sup>.

وقوله « فنال من علي رضي الله عنه » يعني انتقده في الأمور التي خالفه فيها معاوية رضي الله عنه ، وعلى ذلك يُحمل ما اشتهر عن ولاية بني أمية من أنهم كانوا يسبُّون عليًّا على المنابر ، وليس المقصود أنهم كانوا يشتمونه على المنابر ، لأن ذلك يسيء إلى سمعتهم وقد كانوا حريصين على احتواء الناس وكسبهم إلى صفهم .

#### اهتمامه بإلغاء الضرائب والجزية عن أسلم:

من أهم إصلاحات أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، إلغاء الضرائب وإلغاء الجزية عن أسلم في الإسلام، وقد كان الولاية قبله فرضوا ضرائب على المسلمين في أراضيهم وحيولهم وخدمهم ليزيد دخل بيت المال، كما فرضوا الجزية على من أسلم بحجة أن الناس يدخلون في الإسلام فرارًا من دفع الجزية، فوضع ذلك كله عمر بن عبد العزيز، ومن الأخبار في ذلك ما أخرجه محمد بن سعد من خبر

(١) الكامل ١٥٤/٤ .

محمد بن قيس قال: لما ولي عمر بن عبد العزيز وضع المكس عن كل أرض، ووضع الجزية عن كل مسلم<sup>(١)</sup>.

وكذلك ما أخرجه من خبر ميمون بن مهران قال: دخل عامل لعمر بن عبد العزيز فقال: كم جمعت من الصدقة؟ فقال: كذا وكذا، قال: فكم جمع الذي كان قبلك؟ قال: كذا وكذا، فسَمَّى شيئاً أكثر من ذلك، فقال عمر: من أين ذلك؟ قال: يا أمير المؤمنين إنه كان يُؤخذ من الفرس دينار ومن الخادم دينار ومن الفدان خمسة دراهم، وإنك طرحت ذلك كله، قال: لا والله ما ألقيته ولكن الله ألقاه<sup>(٢)</sup>.

وأخرج محمد بن سعد من خبر يعقوب بن عبد الرحمن عن أبيه أن حيان بن شريح عامل عمر بن عبد العزيز على مصر كتب إليه: إن أهل الذمة قد أسرعوا في الإسلام وكسروا الجزية. فكتب إليه عمر: أما بعد فإن الله بعث محمداً داعياً ولم يبعثه جابياً، فإذا أتاك كتابي هذا

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٤٥، والمكس ضريبة تؤخذ من التجار- المصباح المنير/ ٢٩٧-.

(٢) المرجع السابق ٥/ ٣٧٦، والفدان مقدار من الأرض يساوي ٤٢٠٠ متر مربع- المعجم

الوسيط / ٦٧٧ - .

فإن كان أهل الذمة أسرعوا في الإسلام وكسروا الجزية فاطو كتابك وأقبل<sup>(١)</sup>.

وأخرج أيضًا من خبر عبد الرحمن بن حسن عن أبيه أن عمر بن عبد العزيز كتب وهو خليفة إلى عامله على خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي يأمره أن يدعو أهل الجزية إلى الإسلام فإن أسلموا قبل إسلامهم ووضع الجزية عنهم، وكان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، فقال له رجل من أشرف أهل خراسان: إنه والله ما يدعوهم إلى الإسلام إلا أن توضع عنهم الجزية، فامتحنهم بالختان. فقال: أنا أردتهم عن الإسلام بالختان؟ هم لو قد أسلموا فحسن إسلامهم كانوا إلى الطهرة أسرع. فأسلم على يده نحو من أربعة آلاف<sup>(٢)</sup>.

وهكذا كانت نتيجة وضع الجزية عن من أسلم حيث دخل في الإسلام ما يقرب من أربعة آلاف في قطر واحد.

(١) المرجع السابق ٣٨٤/٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٣٨٦/٥.

وفي هذا الخبر موقف يذكر للبطل المجاهد الأمير الجراح بن عبد الله الحكمي حيث رفض مشورة ذلك الرجل الخراساني بامتحان من دخل في الإسلام بالختان لأن ذلك يعدُّ تنفيرًا لهم عن الإسلام. ومما يبين كثرة دخول الكفار في الإسلام بعد إلغاء ضريبة الجزية عمن أسلم، ما ذكره الحافظ ابن الجوزي من خبر جابر بن حنظلة الصَّبِّي قال: كتب عدي بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد فإن الناس قد كثروا في الإسلام، وخفت أن يقل الخراج، فكتب إليه عمر: فهمت كتابك، والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حرَّاثين نأكل من كسب أيدينا<sup>(١)</sup>.

وهذا موقف كبير من مواقف أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في الدعوة إلى الإسلام ورفع الظلم عن أهل الذمة. ومما يبين دقة عمر بن عبد العزيز في تطبيق هذا الأمر، ما أخرجه ابن سعد من خبر سويد بن حصين: أن عمر بن عبد العزيز كتب: إن أسلم والجزية في كفة الميزان فلا تؤخذ منه.

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٨١.

وكذلك ما أخرجه من خبر عمرو بن المهاجر عن عمر بن عبد العزيز في الذمي يسلم قبل السنة بيوم قال: لا تؤخذ منه الجزية<sup>(١)</sup>. ولم يقتصر اهتمام عمر بن عبد العزيز في دخول الكفار في الإسلام على وضع الجزية عمن أسلم، بل تجاوز ذلك إلى دفع مبلغ من المال لبعض زعماء الكفار ليتألفهم على الإسلام، ومن ذلك ما ذكره ابن سعد من خبر عيسى بن أبي عطاء رجل من أهل الشام كان على ديوان أهل المدينة عن عمر بن عبد العزيز أنه ربما أعطى المال من يستألف على الإسلام.

وكذلك ما أخرجه من خبر ابن أبي سبرة عن رجل أخبره عن عمر بن عبد العزيز أنه أعطى بطريقاً ألف دينار استألفه على الإسلام<sup>(٢)</sup>.

### إحياءه سنة العطاء:

لقد فرض أمير المؤمنين العطاء السنوي لكل مولود في الإسلام كما جاء في أخبار، منها ما أخرجه ابن سعد من خبر سعيد بن مسلم

(١) طبقات ابن سعد ٣٥٦/٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٣٥٠/٥، والبطريق هو العالم عند اليهود ورئيس الأساقفة عند

النصارى - المعجم الوسيط / ٦١ - .

بانك قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول وهو خليفة: إنه لا يجلب لكم أن تأخذوا لموتاكم فارفعوهم إلينا، واكتبوا لنا كل منفوس<sup>(١)</sup> نفرض له<sup>(٢)</sup>.

وأخرج عن محمد بن عمر الواقدي قال: حدثني أبي قال: ذهبت بي حاضتي إلى أبي بكر بن حزم فوضع في يدي دينارًا وأنا منفوس، وولدت سنة مائة، ثم كان قابل فأعطينا دينارًا آخر فكان دينارين، قال: وبه<sup>(٣)</sup> سُميتُ<sup>(٤)</sup>.

كما أخرج من خبر الهيثم بن واقد قال: ولدت سنة سبع وتسعين، فاستُخلف عمر وأنا ابن ثلاث سنين فأصبت من قسمه ثلاثة دنائير<sup>(٥)</sup>.

حتى أهل السجون كان يصل إليهم عطاؤهم، كما أخرج ابن

(١) أي مولود في حال نفاس أمه.

(٢) طبقات ابن سعد ٣٤٦/٥.

(٣) أي يعمر بن عبد العزيز.

(٤) طبقات ابن سعد ٣٤٦/٥.

(٥) المرجع السابق ٣٤٧/٥.

سعد من خبر أبي بكر بن حزم قال: كنا نُخرج ديوان أهل السجون فيخرجون إلى أعطياتهم بكتاب عمر بن عبد العزيز، وكتب إليّ: من كان غائباً قريب الغيبة فأعط أهل ديوانه، ومن كان منقطع الغيبة فاعزل عطاءه إلى أن يقدم أو يأتي نعيه، أو يوكل عندك بوكالة بينة على حياته فادفعه إلى وكيله<sup>(١)</sup>.

وبهذا أحى عمر بن عبد العزيز سنة العطاء الإسلامي التي كانت في عهد الخلفاء الراشدين وعهد معاوية رضي الله عنه، ثم اندثرت بعد ذلك واقتصر العطاء على بعض وجهاء الأمة، وكان بنو أمية يأخذون من ذلك الشيء الكثير على مراتبهم، فلما قسم عمر بن عبد العزيز ذلك على الأمة شمل جميع أفرادهم، وهذا من أبرز مواقفه الإسلامية رحمه الله تعالى.

### إغناؤه المحتاجين عن المسألة:

ذكر الشيخ أبو حفص عمر بن محمد الخضر الملاء من خبر يحيى ابن سعد الأنصاري: أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قدم عليه بعض أهل

(١) طبقات ابن سعد ٥/٣٤٨.

المدينة فجعل يسأله عن أهل المدينة فقال: ما فعل المساكين الذين كانوا يجلسون في مكان كذا وكذا؟ قال: قد قاموا منه يا أمير المؤمنين. قال: ما فعل المساكين الذين كانوا يجلسون في مكان كذا وكذا؟ قال: قد قاموا منه وأغناهم الله. قال: وكان من أولئك المساكين من يبيع الخَبَطَ للمسافرين<sup>(١)</sup>، فالتمس ذلك منهم بعدُ فقالوا: قد أغنانا الله عن بيعه بما يعطينا عمر بن عبد العزيز<sup>(٢)</sup>.

وهذا من نتائج المنهج العادل الذي سلكه عمر بن عبد العزيز في توزيع أموال المسلمين، حيث حُرِّمَت القلة المتمكنة من الإسراف وأصبح ما يصرف لفرد من هذه الفئة يصرف لعشرات من المسلمين، فوصل المال العام إلى فئات لم يكن يصل إليها من قبل فاستغنوا به عن بعض الأعمال الشاقة التي كانت تُدرُّ عليهم مبالغ زهيدة.

### اهتمامه بدفع المهور من بيت المال:

كما اهتم أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بأداء مهور الزواج من بيت المال لمن لم يستطع توفير ذلك، ومن الأخبار في ذلك ما أخرجه

(١) الخيط نوع من ورق الشجر تأكله الإبل.

(٢) الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز / ١٥١.

محمد بن سعد من خبر أبي العلاء بيّاع المشاجب قال: قُرِيَ علينا كتاب عمر بن عبد العزيز رحمه الله في مسجد الكوفة وأنا أسمع: من كانت عليه أمانة لا يقدر على أدائها فأعطوه من مال الله، ومن تزوج امرأة لا يقدر أن يسوق إليها صداقها فأعطوه من مال الله<sup>(١)</sup>.

وهذا قرار مهم في إصلاح المجتمع ، لأن صلاحه يتوقف على تحصين أبنائه بالزواج وظفرهم بالسعادة الزوجية، وقد يكون المهر عائقاً لبعض الفقراء دون الزواج، خصوصاً في حال غلاء المهور، فإذا كانت الدولة توفر ذلك لمن لا يستطيع ذلك فإنها تسهم في تكوين المجتمع الصالح وحفظه من أسباب الفساد والاضطراب.

### جهوده في التقريب بين طبقات المجتمع:

إضافة إلى ما ذكر في هذا المجال من التسوية بين أفراد الأمة في العطاء، فإنه سوى بينهم في أحقية الجلوس في المساجد، ومن الأخبار في ذلك ما أخرجه محمد بن سعد من خبر يونس بن أبي شبيب قال: شهدت عمر بن عبد العزيز في بعض الأعياد وقد جاء أشرف الناس

(١) طبقات ابن سعد ٥/٣٧٤، والمشاجب هي ما تعلق عليها الثياب ونحوها- المعجم

الوسيط / ٤٧٣ - .

حتى حُفُوا بالمنبر وبينهم وبين الناس فرجة، فلما جاء عمر صعد المنبر وسلم عليهم، فلما رأى الفرجة أوماً إلى الناس: أن تقدموا، فتقدموا حتى اختلطوا بهم<sup>(١)</sup>.

لقد دأب الولاة من بعد عهد أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه، على رفع طبقات من الناس وتمييزهم على غيرهم بالعطاء والمجالس وغير ذلك، وسرى ذلك في الأمة حتى أصيب بعض أفرادها بالضعف، وأصبحوا يرون أنهم ليسوا أهلاً للجلوس مع أفراد الطبقات المميزة الذين أصبح الناس يطلقون عليهم اسم «الأشراف» وكان أكثر هؤلاء من بني أمية، ولقد بلغ الضعف بعامة المجتمع إلى عدم التجاسر على الاقتراب من أفراد الطبقة الخاصة حتى في المساجد التي من المفترض فيها أن يتنافس المصلون على القرب من الإمام لما في ذلك من زيادة الثواب، فلما تولى الخلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز كان من أجّل اهتماماته أن يقارب بين فئات المجتمع وذلك بأن يضع من سمعة الطبقات العالية وأن يزيل كبرياءهم، وأن يرفع من شأن الطبقات المستضعفة وأن يقوي معنوياتهم ويزيل شعورهم

(١) طبقات ابن سعد ٥/٣٨٧.

بالضعف، فكان من جهوده في ذلك المساواة بينهم في العطاء، ولا شك أن المال له أهمية كبرى في الرفع من شأن الناس وخفضهم. وفي هذا الخبر تبين لنا اهتمامه في هذا المجال، بالإشارة إلى عموم الناس ليقتربوا من الخاصة ويختلطوا بهم حتى تزول تلك الفجوة التي خلفها ظلم الولاة وسوء إدارتهم.

### **تجرده من العصبية وإكرامه أهل البيت:**

مما خالف فيه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز من سبقه من ولاة بني أمية تجرده من العصبية لعشيرته، ومن الأخبار في ذلك ما أخرجه محمد بن سعد من خبر جويرية بن أسماء قال: سمعت فاطمة بنت علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ذكرت عمر بن عبد العزيز فأكثر الترحم عليه، وقالت: دخلت عليه وهو أمير المدينة يومئذ فأخرج عني كل خصي وحرسي، حتى لم يبق في البيت غيري وغيره، ثم قال: يا بنت علي والله ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إليّ منكم، ولأنتم أحب إلي من أهل بيتي<sup>(١)</sup>.

---

(١) طبقات ابن سعد ٥ / ٣٨٧-٣٨٨.